

سلسلة

المغامرين الأذكياء

سرّ العصافير

عرب كوميكس
ARAB COMICS
www.arabcomics.net

٧

دار النفائس



المغامرون الأذكياء

سِرّ العَصافير

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الاولى : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الطبعة الخامسة : ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو

اختفاء سرور

كان صباحاً مشرقاً ليوم من أجمل أيام الربيع الذي أقبل هذه السنة مبكراً عن موعده المعتاد ليمنح الوجود الجمال والبهجة والسعادة . كان كل شيء يوحي بالسرور ويبعث في النفس النشوة ، فالأشجار لبسَتْ أزهى حُلَلِها الخضر بعد عُرْيِ الشتاء الطويل ، وتفتحت الأزهار بألوانها المختلفة وملأت الجوَّ النَّدِيَّ بأريجها العَطِر . أما العصافيرُ فقد راحت تُشَنِّفُ الآذانَ بألحانها الساحرة . لقد كان كلُّ شيء ينبض بالحياة والسعادة والمرح .

وكان قردُنا المحبوبُ « سرور » أسعدَ الجميع . بمَقْدَم هذا الربيع ، ومن السهل أن نفهم السبب إذا عرفنا أنه في كل ربيع ينتقل بسرير نومه من داخل المنزل إلى شجرة جَوْزٍ عجوزٍ باسقةٍ تقوم وسط حديقة منزل مفتش الشرطة « جميل » .

وفي هذا الربيع اتخذ « سرور » من أحد أغصان هذه الشجرة سريراً له ينام فوقه ليلاً ، ويداعب في النهار العصافير التي أنِسَت به ، واطمأنت إليه ، فلم تكن تخشاه ، أو تنفرُ منه .

وكانت حُجْرةُ « خالـد » تطـلُّ على شجـرة « سرور » ، بل إن أحـد أغصانها كان يمتد أمام الشرفة ويكاد يلامسها . وكان هذا مما سهل على « سرور » أمر التنقل بين مقره الربيعي على الشجرة ، وبين حُجْرة صاحبه « خالد » .

كان في كل صباح يستيقظ مبـكراً ، ثم يقـوم بالتمرينـات الصبـاحية الرياضية التي تعلمها من « خالد » ، ثم يسرع إلى حجرة الطعام ليكون أولَ الجالسين إلى المائدة .

ولكن الأمر كان مختلفاً هذا الصباح ، فلم يره أحـد يقـوم بتمريناتـه المعتادة ، وكذلك تخلف عن الإفطار وظل مكانُه من المائدة شاغراً إلى أن انتهى الجميع من تناول إفطارهم . وكان هذا ما أثار قلق « خالد » أشد الإثارة ، فهي المرة الأولى التي يتخلف فيها « سرور » عن مائدة الإفطار ، ويخرج عن مألوف عادته في تمارينه الرياضية . لا بدَّ أن أمراً خطيراً هو الذي عاقَه عن المجيء .

قال « خالد » لأبيه وأمارات القلق باديةٌ في أسارير وجهه :

ـ لا أدري ما حدث « لسرور » . . إنه لم يظهر حتى الآن ؟

وغادر مكانه على الفور ، ودخل غرفته ، ثم خرج منها إلى الشرفة وهو ينادي :

ـ « سرور » !! أين أنت يا « سرور » ؟

ولكن لم يجب نداءَه أحدٌ . . لم يكن « سرور » هناك . . وإلاّ كان

أسرع إليه ، فهو سريع اليقظة ، ولا يحتاج إلى أكْثَرَ من صوتٍ واحد . .

ومع ذلك عاد « خالد » ينادي :

ـ « سرور » . . « سرور » !!

ولكن نداءَهُ ذهَبَ أدراجَ الرياح ، فلم يستجب له « سرور » ، لأنه لم يكن هناك . استبدت الحَيْرةُ « بخالد » ، فعاد إلى غرفة المائدة مشغـولَ البال ، وقال ورنَّةُ الحزن باديةٌ في صوته :

ـ لم أجِدْهُ على الشجرة .

أجابه والده ليهدىء قلقه :

ـ إنك تعرف حبه الشـديد للعصافـير والـطيور . . وربمـا خرج إلى الحديقة العامة حيث يجد الكثير منهـا ليمارس معهـا هوايتـه في ملاعبتهـا ومطاردتها .

أجابه « خالد » مؤكداً :

ـ ولكن ذلك إذا حدث ، فلن يشغله عن تمارينه وإفطاره . إني أخشى أن يكون الذي عاقه أمراً خطيراً .

وسرى القلق إلى أمه « ليلى » التي سألت :

ـ ماذا تعني يا « خالد » ؟

أجابها بنبرة قلق مشوبٍ بالحزن :

ـ لسـت أدري يا مامــا . . إنــي متــوجّسٌ خيفــةً من هذا الغياب الغريب . . وأرجو ألاّ يكون قد أصيب بمكروه !

قال المفتش « جميل » متظاهراً بعدم الاكتراث ليخفف من قلق « خالد » :

ـ أكملْ إفطارك وستراه قادماً قبل أن تنتهي .

وبغير شهية ارتشف « خالد » ما بقي في فنجانه من الشاي ، ثم نهض عن المائدة وهو يقول :

ـ أنا ذاهب إلى الحديقة لأبحث عنه .

ولم تبدُر من أبويه أية معارضة ، بل أقرّاه وتمنّيا له التوفيق . وكأن « فينو » أدرك بغريزته ما كان يعتلج في صدر « خالد » من الخشية والقلق ، فلحق به وهو يهبط الدرج مسرعاً . وكذلك فعل « فصيح » وهو يصيح بصوت حزين :

ـ « سرور » ! « يا خالد » . . « سرور » حبيبي .

واغرورقت عينا ماما « سعاد » بالدموع تأثراً بالمشهد الحزين ، فقال لها المفتش وقد لاحظ ذلك :

ـ لماذا تبكين يا سعاد ؟!

أجابته بحزن وأسًى :

ـ إني خائفة حقاً يا جميل . . أخشى أن يكون « سرور » أصيب بمكروه .

وسكت المفتش جميل فلم ينبس ببنت شفة ، كأنما كان يوافق زوجته ويقرها على قلقها وإن لم يكن يصرح بذلك .

***

ما إنْ هبط « خالد » إلى حديقة الفيلا حتى التفت إلى « فينو » وصاح به :

ـ « فينو » . . ! اتبع « سروراً » . !

ـ وما كاد « فينو » . . ! يسمع الأمر حتى مدّ أنفه نحو الأرض وراح يتشمّمُها ، وبعد تردد لم يطل كثيراً سار في اتجاه سور الحديقة الذي كان الياسمين يغطيه ويمنع المارة في الشارع من رؤية مَنْ بداخل الحديقة . وعند نقطة محددة من هذا السُور وقف « فينو » قليلاً يتشمم ، ثم شب على قائمتيه الخلفيتين ، ودسّ أنفَه بين أغصان الياسمين .

كان واضحاً أن رائحة الياسمين تشوش على « فينو » ، ولا تسمح له أن يتتبع بسهولة رائحة « سرور » . وهذا ما فسرّ « لخالد » تردد « فينو » وحيرته واستغراقه وقتا طويلاً في عملية التتبع .

صاح به يسأله :

ـ ماذا يا « فينو » ؟ هل ضاعت منك رائحة « سرور » ؟

ولكن « فينو » نبح مستنكراً كأنما شعر بالإهانة إذ يتهم بالضعف في اختصاصه . ثم قفز إلى الشارع من ثغرة في سياج السور كان هو و « سرور » قد اعتادا الدخول والخروج منها . والتفت الى « خالد » وقد عاود النباح كأنه يدعوه إلى أن يبتعد .

وأسرع « خالد » فمرق من الثغرة وخلفه « فصيح » من فوق السور . وما إن صارا فوق رصيف الشارع حتى انطلق « فينو » أمامهما مسرعاً .

ومضى الثلاثة في الشارع و « فينو » لا يرفع أنفه عن الأرض كأنه لا يريد أن يفقد مرة ثانية الأثر الذي اهتدى إليه بصعوبة لم يصادف مثلها قبل اليوم .

ومضى على هذا قُرابة خَمْسَ عَشْرَةَ دقيقةً قبل أن يتوقف « فينو » عند باب حديدي أسود اللون ، ثم يستدير ويرفع بصره نحو « خالد » كأنه يقول له إن « سروراً » هو في المبنى الذي خلف هذا الباب .

نظر « خالد » إلى المبنى يتفحصه . . كان مبنى صغيراً قائماً يتألف من طابقين ، وتحيط به حديقة حولها سور مرتفع مبني من قرميد أملس .

كان « فينو » صامتاً لا ينبح ، وكأنه أدرك بذكائه الخارق أن النباح لا جدوى منه ههنا ، فهو سينبّه الجناة ، وسيفوّت الفرصة على « خالد » للعثور على صديقه « سرور » . ولهذا راح يدور حول « خالد » ويرفع إليه بصره بين الحين والآخر ، كأنما يسأله ماذا يفعل ؟

وتقدم « خالد » نحو الباب يتحسسه ، فوجده مغلقاً بإحكام ، فنظر إلى سور المنزل باحثاً عن ثغرة فيه يمكن أن ينفذ منها ، لكن السور كان مرتفعاً بشكل يدعو إلى اليأس ، ويوحي بعدم جدوى محاولة تسلّقه . هذا إلى أن « خالداً » تذكر وصية أبيه له بعدم اقتحام منازل الناس بغير إذن منهم ، فإن ذلك جريمة يعاقب عليها القانون .

وبينما كان « خالد » يفكر عبثاً بوسيلة يستطيع بها الدخول الى المنزل

بصورة مشروعة إذ فتح باب المنزل ، وظهر من ورائه رجل ضخم الهيكل يضع على عينيه نظارة سوداء قاتمة ، وقد نما تحت منخريه شاربان أسودان غزيرا الشعر . وأغرب ما لفت نظر « خالد » في هيئة الرجل هو تلك اللحية الصغيرة التي بدت كأنها مثلث متساوي الأضلاع تمتد قاعدته بمحاذاة الشفة السفلى للرجل ، ويصل رأسه الى ما دون ذقن الرجل بقليل .

ولكي لا يثير « خالد » شكوك الرجل ذي اللحية المثلثية تظاهر بأنه يلاعب كلبه « فينو » وكأنه غلام خرج في نزهة مع كلبه .

ولم يَبْدُ على الرجل أنه اكترث لوجود « خالد » وكلبه كثيراً ، إذ ما كاد يغلق باب المنزل خلفه باحكام حتى مضى إلى باب مرآب « كاراج » كان ملحقاً بالمنزل ، ففتحه ودخل ، ثم خرج منه بسيارة من طراز « فيات » فوقف بها في الشارع ، ثم نزل فأغلق باب المِرآب « الكاراج » ، ثم عاد الى السيارة فركبها ، ثم انطلق يسابق بها الريح .

وعلى الرغم من تسارع الأحداث التي فاجأت « خالداً » بما لم يكن يتوقعه ، فإنه لم يَفُتْهُ أن يلتقط رقم السيارة ويحفظه جيداً في ذاكرته .

والتفت الى كلبه الأمين وصاح به :

ـ « فينو » . . ! هيا اتبعني !

ونظر الكلب الذكي الى صاحبه مستغرباً منه هذا التصرف ، فكيف

يمضيان بعد أن وصلا إلى المكان الذي لا شك أن « سروراً » قابع خلف جدرانه ؟

وأدرك « خالد » ما كان يدور في خلد « فينو » فقال يطمئنه :

ـ سنعود يا « فينو » . . سنعود .



الإنقـــاذ

كان المفتش جميل وزوجته سعاد ما يزالان في غرفة المائدة ينتظران عودة « خالد » ليعرفا منه آخر الأخبار . وحين دخل عليهما وجدهما في وجوم وقلق لا يتكلمان . ولكن أمه ما كادت تراه داخلاً حتى هتفت به في لهفة :

ـ ألم تجده يا خالد ؟ !

أجابها وهو يلهث :

ـ لقد أوصلنا فينو إلى المكان الذي انتهى عنده الأثر . . وهو منزل لا يبعد كثيراً عن بيتنا . . ولكن باب المنزل كان مغلقاً فلم أستطع أن أعرف ما بالداخل ، وكنت على وشك العودة لأخبر بابا بما انتهى إليه أمرنا عندما خرج رجل من المنزل فركب سيارته وانطلق بها .

بدا الاهتمام على أسارير المفتش جميل الذي قال :

ـ هل التقطت رقم السيارة ؟ وهل تستطيع أن تصف لي الرجل ؟

أجاب خالد بسرعة :

ـ السيارة من طراز « فيات » لعام ١٩٧٠ ، زرقاء اللون ، تحمل لوحتها الخاصة السوداء رقم ١١٤٩٧ .

أخـرج المفتش جميل من جيبـه دفتـراً صغـيراً ، فدوّن فيه هذه المعلومات ، ثم عاد يسأل ابنه :

ـ وما أوصاف الرجل ؟

وراح خالد يصف الرجل لأبيه بكل دقة ، ووالده يسجل بسرعـة ما يسمع . فلما انتهى قال له :

ـ لقد احسنت صُنْعاً . . اترك الأمر لي . . وسأرى ما ينبغي عمله في هذا الشأن .

قال خالد :

ـ شكراً يا بابا ! ولكن اسمح لي أن أقوم أنا أيضاً بعمل يطمئنني على سلامة « سرور » .

قال والده محذّراً :

ـ خالد . . ! لا تورّط نفسك في مغامرات لا داعي لها . . إني سأبدأ تحرياتي فور وصولي إلى مكتبي .

قال خالد مطمئناً أباه :

ـ لا مغامرة في الأمر يا بابا . . كل ما هنالك أنني سأبعـث بفصيح يتحرى المنزل ويرى إن كان سرور لا يزال بخير .

فكر المفتش قليلاً ثم قال موافقاً :

ـ إذا اقتصر الأمـر على ذلك فلا بأس . . ولـكن أسرعْ بالعمـل كي أتصرف على أساس من نتيجة هذا التحري .

وقبل أن يتكلم خالد صاح فصيح :

ـ حبيبي سرور . ! خالد ! حبيبي سرور !

ابتسم خالد لما أبدى فصيح من حماسة وقال له :

ـ فصيح . . ! افهمْ جيداً ما سأقوله لك . . سنعود إلى المنزل الذي كنا أمامه الآن . . وسوف تحاول الدخول إليه للبحث عن سرور . . هل فهمت ؟

أجابه الطائر الذكي :

ـ فصيح فهيم . ! حبيبي سرور . . ! هناك هناك . . حبيبي سرور !

تبادل المفتش جميل وزوجته سعاد نظرات تعبر عن إعجـابهما بمقـدرة خالد الخارقة ، وبراعته الفائقة في ترويض ببغائه وحيواناته .

عاد خالد يخاطب ببغاءه ليستوثق من صحة فهمه :

ـ تدخل من إحدى النوافذ وتبحث عنه . . فإذا وجدته فأظهر نفسك له . . حتى يطمئن إلى أننا في أثره . . هل فهمتَ يا فصيح ؟ !

أجاب الطائر الذكي بغير تردد :

ـ فصيح فهيم . . فصيح فهيم . . هناك سرور حبيبي !

حمله خالد على كتفه ، والتفت إلى والده وهو يقول :

ـ لن نتأخر كثيراً .

وهبط الدرج مسرعاً يتبعه « فينو » الذي بدا غضبانَ كأنه غير راضٍ عن هذه السياسة السِّلْمية التي تتطلب إجراءاتٍ كثيرةً ووقتاً طويلاً ، وكأنه يقول : إني على استعداد لمداهمة المنـزل وانقـاذ سرور بالقـوة ؛

فلماذا هذه المحاولات العقيمة ؟

ولم يكن خالد يعلم شيئاً عن أفكار فينو . . لقد كان في شغل عن ذلك بالعمل سريعاً من أجل تحديد مكان سرور ، وإبلاغ ذلك إلى والده قبل أن يحين وقت خروجه إلى عمله .

ولم تمض سوى دقائق حتى كان الجميع أمام المنزل مرة ثانية ، فقال خالد :

ـ هنا يا فصيح . . ! ادخل هنا . . !

ومن دون تردد انطلق فصيح يخفق بجناحيه حتى اجتاز سور المنزل ، وغاب عن نظر خالد الذي وقف مترقباً ينتظر النتيجة في لهفة بالغة ، بينما كان « فينو » يهرّ في غضب مكظوم ، ويتشمم الأرض ويدور هنا وهناك في محاولة لإخفاء غيظه وقلقه .

وفجأة ارتفع صوت بوق سيارة قادمة من خلف خالد ، فاستدار هذا مذعوراً ليرى الرجل نفسه يقود سيارته الزرقاء في طريقه نحوه .

ارتبك خالد أول الأمر ، ولكنه سرعان ما تمالك أعصابه ، وسار خطوات إلى الأمام متظاهراً بأنه عابر سبيل .

لم يعبأ الرجل بخالد ، إذ لم يكن في سلوكه ما يثير الشبهات ، وهكذا مضى بسيارته حتى إذا صار أمام باب المنزل أوقفها وأطفأ محركها ، ثم غادرها إلى باب المنزل ففتحه ودخل ولم يغلقه خلفه .

كان ذلك خطأً قاتلاً ارتكبه الرجل دون أن يشعر به ، إذ ما كاد فينو

يرى الباب موارباً حتى نفذ منه كالسهم في إثر الرجل . وحاول خالد منع فينو من هذا العمل الطائش فناداه يأمره بالعودة ، ولكن النداء جاء متأخراً ، فقد اختفى « فينو » في لمح البصر .

وقف خالد حائراً لا يدري ما يفعل . أيقف في مكانه بلا حراك منتظراً النتيجة المجهولة ، تاركاً الأحداث تتطور على هواها ؟ أم يلحق بفينو مع ما في ذلك من مخالفة للقانون حذره أبوه منها مراراً ؟

وبينما هو في حيرته وتردده إذ سمع نباح فينو يعلو من الداخل غاضباً مزمجراً . وبدون تروٍ أو تفكير حزم أمره وانطلق مسرعاً إلى الداخل .

كان الباب الداخلي مفتوحاً أيضاً ، ولكن خالداً لم يسمح لنفسه بالدخول بغير إذن ، فوضع إصبعه على زر الجرس وراح يضغط عليه ضغطات متقطعة ، فلم يجبه أحد ، فضغط عليه ضغطاً مستمراً ، ولكن بغير جدوى . وعندئذ وجد أن من حقه الدخول دون أن يسمح له أحد بذلك ، ولا سيما أن صوت فينو كان يزداد ارتفاعاً ، ورنة الغضب فيه تزداد قوة .

دلف خالد إلى الداخل فإذا هو في بهو يكاد أن يكون عارياً من الأثاث . ونظر إلى يمينه فإذا باب مغلق كان ينبعث من خلفه أصوات معركة حامية بين فينو ورجل مجهول ، وصياح فصيح يلعلع عالياً :

ـ احذر يا فينو ! احذر !

وبغير تردد أو تلكؤ فتح خالد الباب ليرى ساحة المعركة وأبطالها .

كان الرجل الغريب ممسكاً بفصيح يحاول إدخاله في قفص كان إلى جواره ، وفي الوقت نفسه كان يحاول التملص من فينو الذي استطاع بضراوته الصادقة أن يمنعه من إنفاذ رغبته ، وأن يحصره في ركن من أركان الحجرة ، بينما كان سرور مقيداً في ركن آخر لا يستطيع حراكاً .

صاح خالد بالرجل غاضباً :

ـ لماذا تقبض على قردي وببغائي ؟ اتركهما فوراً !

قال الرجل في صوت أجش :

ـ إذا كانت هذه حيواناتك فقد كان عليك أن تمسكها في بيتك ، وتمنعها من أن تعيث فساداً في بيوت الناس . إن هذا القرد اللعين فتح أحد أقفاصي ونفّر منه عصافيري ، وكان بسبيله إلى فتح القفص الثاني لولا أنني ضبطته وقيدته .

قال خالد في أدب جم :

ـ أنا آسف لما حصل . وسأدفع لك ثمن العصافير التي نفرت . ولكن ما ذنب الببغاء حتى تقبض عليها ؟ اتركها . . أرجوك . . إن فينو إذا أعماه الغضب انقلب إلى وحش كاسر .

نظر الرجل إلى فصيح في يده ، ثم أطلقه ، فطار إلى كتف خالد وهو يصيح :

ـ خالد . . ! خالد . . !

قال الرجل مشيراً إلى فينو الذي كان لا يزال محاصراً إياه في ركن الحجرة :

ـ اخرج بهذا الكلب من هنا قبل أن اضطر إلى قتله .

ولم يأبه خالد بتهديد الرجل ، لأنه كان في شغل عن ذلك بفك الوثاق عن سرور الذي ما كاد يتحرر من آخر حبل حول جسده حتى قفز قفزة بعيدة المدى جعلته فوق كتفي الرجل ، فانقض على أذنه يوسعها قضماً ونهشاً ، بينما دفعه فينو دفعة قوية فألصقه بالحائط .

حاول الرجل إخراج مسدسه من جيبه ، ولكن فينو أدرك ما بنفسه ، فراح يهاجمه بعنف ، ويحاول أن يعض على يده بأنيابه الحادة ، في الوقت الذي كان لا يزال سرور فيه مكباً على أذنيه ينهشهما في جنون كأنه كلب مسعور .

صرخ الرجل في ألم ، ثم قفز من مكانه إلى جوار خالد كأنه يستجير به ، وفينو في أثره لا يسمح له بالإفلات منه :

صرخ خالد ينهر فينو وسروراً :

ـ فينو . . ! كفى . . انزل عن الرجل يا سرور . . !

كف فينو عن ملاحقة الرجل وإن ظل يزمجر مهدداً ، أما سرور فانصاع لأمر سيده مُكْرَهاً ، ولكن بعد أن ترك آثار أسنانه الحادة ظاهرة في أذني الرجل الداميتين .

وبدلاً من أن يقدم الرجل شكره لخالد ، مد يده إلى جيب سترته وأخرج مسدسه وحاول أن يسدده نحو فينو الذي انقض عليه في لمح البصر ، وأطبق بفكيه على ساعده وظل يضغط حتى اضطره إلى إلقاء

المسدس ، فألقاه وهو يئنّ من الألم .

أسرع خالد فاختطف المسدس وقال لفينو :

ـ فينو . . ! هيا اتركه ودعنا ننصرف . . !

قال الرجل مهدداً :

ـ أقسم إنني سأقتل هذين اللعينين . . !

ضحك خالد ، وقال وهو يضع المسدس في جيبه ويهم بالخروج :

ـ لهذا السبب لن أعطيك هذا المسدس الذي حاولت أن تقتلنا به . . وأحذرك أنهما لن يسكتا لك في المرة القادمة . . إنك لم تر منهما هذه المرة إلا اليسير . . وفي المرة الثانية سيصرعانك كالثور في حلبة المصارعة .

صاح فصيح :

ـ ثور . . ! ثور . . ! يخرب بيتك . . ! ثور . . !

خرج خالد مسرعاً يتبعه فينو وسرور ، بينما كان فصيح لا يكف عن صياحه :

ـ ثور . . ! ثور . . ! يخرب بيته . . ! ثور . . !

* * *

سـر العصافير

قال المفتش جميل لابنه خالد :

ـ ماذا فعلت ؟

وقبل أن يجيب خالد عن سؤ ال أبيه لمح هذا في يده المسدس ، فبدت عليه الدهشة ثم التقطيب وقال :

ـ ما هذا المسدس ؟ من أين جئت به ؟

أجابه خالد :

ـ إنه مسدس الرجل الذي حدثتك عنه . . انتزعه منه فينو قبل أن يطلقه عليه .

تناول المفتش المسدس ، وقال وهو يتفحصه بعناية :

ـ لقد تطور الأمر إذن . . طيب . . اصعد الآن إلى غرفتك ، ولا تغادر المنزل حتى أتصل بك .

أما ماما سعاد فقد كانت فرحتها عظيمة ، ولا سيما حين أسرع إليها سرور يعانقها ويقبلها كطفل عاد إلى أمه بعد غياب طويل .

سألته باسمة :

ـ أين كنت يا سرور . . ؟

حاول سرور أن يجيب عن سؤالها بأن راح يشير بيديه ورأسه إشارات لم تكد ماما سعاد تفهم منها شيئاً .

ونظرت إلى خالد وقالت له :

ـ ماذا يريد أن يقول . ؟ أنا لا أفهم منه شيئاً .

كان سرور مغيظاً لأنه أخفق في إفهام ماما سعاد ما كان يريد ، وراح يجيل بصره بينها وبين خالد الذي قال رداً على سؤال أمه :

ـ إنه يحاول أن يشرح أمراً جرى له هناك . . وكل ما فهمته من إشاراته أن صاحب الدار كان يفعل شيئاً ما بالعصافير التي أطلقها .

خلع سرور قبعته ورمى بها إلى الأرض في حنق وغضب لأن أحداً لم يفهم عنه ما يريد قوله . ثم خطر له فجأة خاطر ، فالتفت إلى فصيح ، ثم سعى نحوه ، وراح يمسح بحنان على ريشه . فقال فصيح :

ـ سرور هائل . . ! سرور حبيبي . . !

أخذ سرور يشير إلى جناح فصيح ، ثم إلى ما تحت الجناح ، ثم يرفع بصره إلى السماء ويخفق بيديه مقلداً الطائر إذا هَمَّ بالتحليق .

وفهم الآن خالد ما يقصده ، فقال يسأله :

ـ أكان الرجل يضع شيئاً تحت أجنحة العصافير ثم يطلقها ؟

أومأ سرور بالإيجاب وقد تهلل وجهه فرحاً بفهم خالد ، ثم تناول قبعته المرمية فطوح بها نحو سقف الحجرة وهو يطلق صيحات الفرح والبهجة .

قال خالد محدثا أمه :

ـ ما معنى ذلك يا ترى ؟ أن يضع الرجل شيئاً تحت جناح عصفور ثم يطلقه ! ولم يبد أن ماما سعاد قد فهمت شيئاً ، فقالت والدهشة بادية عليها :

ـ ماذا تقول ؟ إني لا أكاد افهم شيئاً . .

ولم ييئس خالد من الوصول إلى حقيقة الأمر ، فعاد يسأل سروراً :

ـ كان يضع تحت أجنحتها شيئاً . . ما هو يا سرور ؟ ماذا كان يضع ؟

فهم سرور السؤال ، وراح يفكر في ذكاء عجيب بالوسيلة الناجحة التي يمكنه أن يشرح بها مراده حين عاود خالد السؤال :

ـ أي شيء كان يضع . . ؟

تلفت سرور حوله في حَيْرة لم تدم طويلاً ، إذ ما كاد يقع بصره على منفضة السجائر حتى انقض عليها ، وتناول منها عقب سيجارة مطفأة ، ثم قدمه إلى خالد . .

نظر خالد إلى عقب السيجارة في يده وهو لا يكاد يفهم شيئاً . وفجأة لمعت الفكرة في رأسه ، وأدرك ما يريد سرور أن يقوله ، فالتفت إلى أمه وقال :

ـ يا لله . . ! الآن فهمت ما يعني يا ماما . . كان الرجل يحمل العصافير شيئاً صغيراً في حجم عقب السيجارة . . وهذا أمر معقول . . فالعصفور لا يستطيع أن يحمل شيئاً أثقل من هذا . . ولكن بقي أن نعرف ما طبيعة هذا الشيء الذي تحمله العصافير ؟

فكرت ماما سعاد هنيهة ثم قالت :

- إنه أمر محيرّ حقاً يا خالد !

قال خالد وهو يتنهد :

- لو كنت معي يا ماما وشاهدت ما حدث هناك ، إذن لاشتد عجبك من حب فينو لسرور . . كنت أعرف من قبل أن كلاً منهم ، أي سرور وفينو وفصيح ، يحب الآخر . . ولكن لم أكن أظن أن الحب يبلغ بهم هذا الحد من التفاني . . هل تصدقين إذا قلت لك إن فينو كاد يقتل الرجل حين وقع بصره على سرور مقيداً . .

سألته في دهشة :

- وهل كان مقيداً . . ؟ ولماذا قيده . . ؟

أجابها قائلاً :

- لقد سألته هذا السؤال ، فأجابني بأنه فعل ذلك عقاباً لسرور الذي نفّر له عصافيره .

وكأنما فهم فصيح أنهما يتحدثان عن الرجل فراح يصيح مشاركة منه في الحديث :

- ثور . . ! ثور . . !

ضحك خالد وقال :

- إنه يقصد الرجل . . وهو ناقم عليه أيضاً ، لأن الرجل قبض عليه وحاول أن يضعه في أحد الأقفاص حين دخلنا عليه أنا وفينو .

وقطع حديثهما رنين جرس الهاتف . . كان المتحدث هو المفتش جميل الذي قال :

- سعاد . . ! إن الأمر أخطر مما كنا نظن . . لا تتركي خالداً يغادر المنزل مهما يكن السبب . أين هو الآن ؟ أعطني إياه لأكلمه . . !

أجابته ماما سعاد :

- إنه هنا . . ها هو . .

- ومدت يدها بالمِسرة إلى خالد وهي تقول :

- إنه أبوك يريد تكليمك . .

وضع خالد مسرة الهاتف على إذنه ، فتناهى إليه صوت أبيه يقول في جد :

- اسمع يا خالد . ! إياك أن تغادر المنزل مهما كان السبب . . لقد تبين بالكشف عن رقم السيارة أن صاحبها اختفى منذ أسبوعين في ظروف غامضة ، ثم عثر عليه غريقاً في البحيرة . . إن وراء الأمر سراً خطيراً . . فلا تخرج قبل أن أعود إلى المنزل وقد انكشف السر ووضح الغامض .

أجاب خالد مطمئناً أباه :

- سأبقى في البيت حتى عودتك . . لا تقلق يا بابا !

ووضع المسرة في مكانها وهو يقول لأمه سعاد :

- إن النظر في إضبارة السيارة ومعرفة اسم صاحبها قد كشفا عن أمور خطيرة . . فقد تبين أن صاحبها اختفى فجأة منذ أسبوعين ، ثم عثروا على جثته في البحيرة .

وظهر الاهتمام في قسمات وجهها وهي تقول :

- معنى ذلك أن رجلكم على علم وَصِلَةٍ بهذا الأمر . . وإلاّ فكيف

يفسر وجود سيارة الغريق معه . . ؟

هز خالد رأسه مستغرباً ، ثم قال :

ـ يجب أن نخبر بابا بأمر العصافير كما فهمناه من سرور . . وما أدرانا فقد يكون للأمر أهمية ؟



صاحب السيارة

كان المفتش جميل في مكتبه ينتظر التقرير المفصل عن السيارة وصاحبها من إدارة شرطة المرور .

وفجأة رن جرس الهاتف ، فرفع المسرة إلى إذنه فسمع الرائد أحمد كريم يقول :

ـ سيدي المفتش . . إن السيارة خاصة ، وهي ملك للمدعو جورج نعوم من رعايا الجمهورية اللبنانية . .

سأله المفتش :

ـ هل لا تزال ملكيتها لهذا الرجل حتى الآن ، أم أنها بيعت في الأيام القليلة الماضية ؟

أجاب الرائد :

ـ ليس في إضبارة السيارة ما يشير إلى بيعها إلى أحد . .

قال المفتش شاكراً :

ـ شكراً يا أحمد !

وضع المفتش المسرة ، ثم رفعها ثانية واتصل بإدارة الترخيص بالأسلحة ، وطلب الرائد حسان الصالح . . وبعد هنيهة مضى يقول :

ـ الرائد حسان ؟ صباح الخير . . كيف حالك ؟ أود أن تبحث لي عن ترخيص بحمل مسدس باسم جورج نعوم . . والمسدس عيار ٩ ماركة كولت . .

أجاب الرائد :

ـ حباً وكرامةً . . لا تقطع الاتصال . . سأوافيك بالنتيجة فوراً . .

وبعد صمت دام لحظات عاد المفتش يقول :

ـ آلو . . نعم . . أنا معك يا رائد حسان . . ماذا . . ؟ لا وجود لترخيص بهذا الاسم في سجلاتكم ؟ ! طيب . . أشكرك جداً يا رائد حسان . . ! إلى اللقاء . .

وضع المسرة ، واستدعى مساعده « ماهر » وحين حضر هذا بادره قائلاً :

ـ ماهر . . ! ابحث لي في المحفوظات عن صحيفة باسم جورج نعّوم . . وأعلمني إن كان له نشاط من نوع ما عندنا .

أسرع ماهر لإنفاذ الأمر الصادر إليه ، فاتصل بقسم المحفوظات ، وطلب اضبارة المدعو جورج نعوم من الرعايا الأجانب .

وعندما عاد ماهر بنتيجة بحثه إلى رئيسه المفتش جميل ، وجد هذا الأخير يقلب المسدس في يده وهو غارق في تفكير عميق .

فلما رآه سأله في لهفة :

ـ نعم . . ؟ هل له صحيفة في المحفوظات ؟

أجابه ماهر وهو يقرأ من ورقة في يده :

ـ صحيفة ملآى يا سيدي المفتش . . إنه مهرب مخدرات معروف . . وقد تخصص في تهريب الهيروين . . صدر عليه غيابياً حكم بالأشغال الشاقة في القضية رقم ١٢١٣ بتاريخ ٦/ ٤/ ١٩٦٦ . ومنذ ذلك التاريخ أدرج اسمه في قائمة المطلوبين . .

تمتم المفتش جميل بكلمات خافتة كأنه يحدث بها نفسه . . ثم قال :

ـ اتصل بإدارة مكافحة المخدرات ، واطلب إضبارته هناك .

ومضى ماهر لإنفاذ الأمر حين استوقفه المفتش قائلاً :

ـ اتصل بهم من هنا . . واطلب منهم أن يرسلوا الإضبارة مع شرطي يحملها باليد . . وأسرع . .

قال هذا ثم رفع مسرة الهاتف ، وأدار القرص . . وانتظر لحظة ثم قال :

ـ الملازم علي . . ؟ اذهب مع بعض العساكر إلى المنزل رقم ٣١ شارع المنصور ، واقبض على المدعو جورج نعّوم . . نعم ستجد أمر النيابة في انتظارك عند عبد الحفيظ . . خذه في طريقك . . نعم . . إنه محكوم هارب من حكم الأشغال المؤ بدة منذ عام ١٩٦٦ . . .

وضع المسرة مكانها ، وراح يصغي إلى حديث ماهر الذي كان يقول :

ـ شكراً يا سيدي . . نحن في انتظاره .

ووضع المسرة وهو يقول :

ـ ستصل الإضبارة بعد قليل . .

وقطع كلمات ماهر صوت جرس الهاتف الداخلي ، فرفع المفتش

المسرة ، وأنصت هنيهة باهتمام ظاهر يدل على أن الحديث يحمل أهمية بالغة . وأخيراً قال :

ـ وهل وصل تقرير الطبيب الشرعي ؟

وعاد إلى الإصغاء لحظات ثم قال :

ـ شكراً . . ! سنفعل ما ينبغي . .

ووضع المسرة والتفت الى ماهر وقال :

ـ إن الأمور تتطور بشكل مفاجيء . . كنا نظن أن المقيم في المنزل رقم ٣١ شارع المنصور هو المدعو جورج نعّوم الذي تطلبه العدالة منذ عام ١٩٦٦ .

قال ماهر وقد ظهرت عليه علامات عدم الفهم :

ـ إذا لم يكن إياه فمن يكون إذن ؟

أجاب المفتش جميل :

ـ لا أدري . . كل الذي نحن واثقون به هو أنه ليس جورج نعوم ، لسبب بسيط هو أن جورج نعوم وجد قتيلاً . .

فغر ماهر فاه دهشة وقال ببلاهة :

ـ ماذا . . ؟

أجاب المفتش جميل شارحاً :

ـ منذ أسبوعين عثروا على جثة في البحيرة يثبت تقرير الطبيب الشرعي أنها لمن كان يدعى جورج نعّوم .

قال ماهر مستفسراً :

ـ ولكن كيف نقبض على هذا الرجل ساكن المنزل إذا لم يكن هو جورج نعّوم ؟

قال المفتش موافقاً :

ـ هذا صحيح . . ومع ذلك فيجب القبض عليه لأنه ذو صلة بجورج نعوم . . فالسيارة التي يركبها تخص القتيل الهارب من العدالة . . ثم لا تنس أنه كان يحمل مسدساً تبين أنه بغير رخصة . . وفي هذه الحال يمكن القبض عليه بتهمة حيازة سلاح غير مرخص .

وسكت لحظة ، ثم خطر له خاطر ، فأمسك بالمسرة ، وأدار قرص الهاتف ، وطلب من ابنه خالد ألاّ يخرج من المنزل ، وأنهى إليه المعلومات التي توصل إليها . وهو الحديث الذي قرأناه في الفصل السابق .

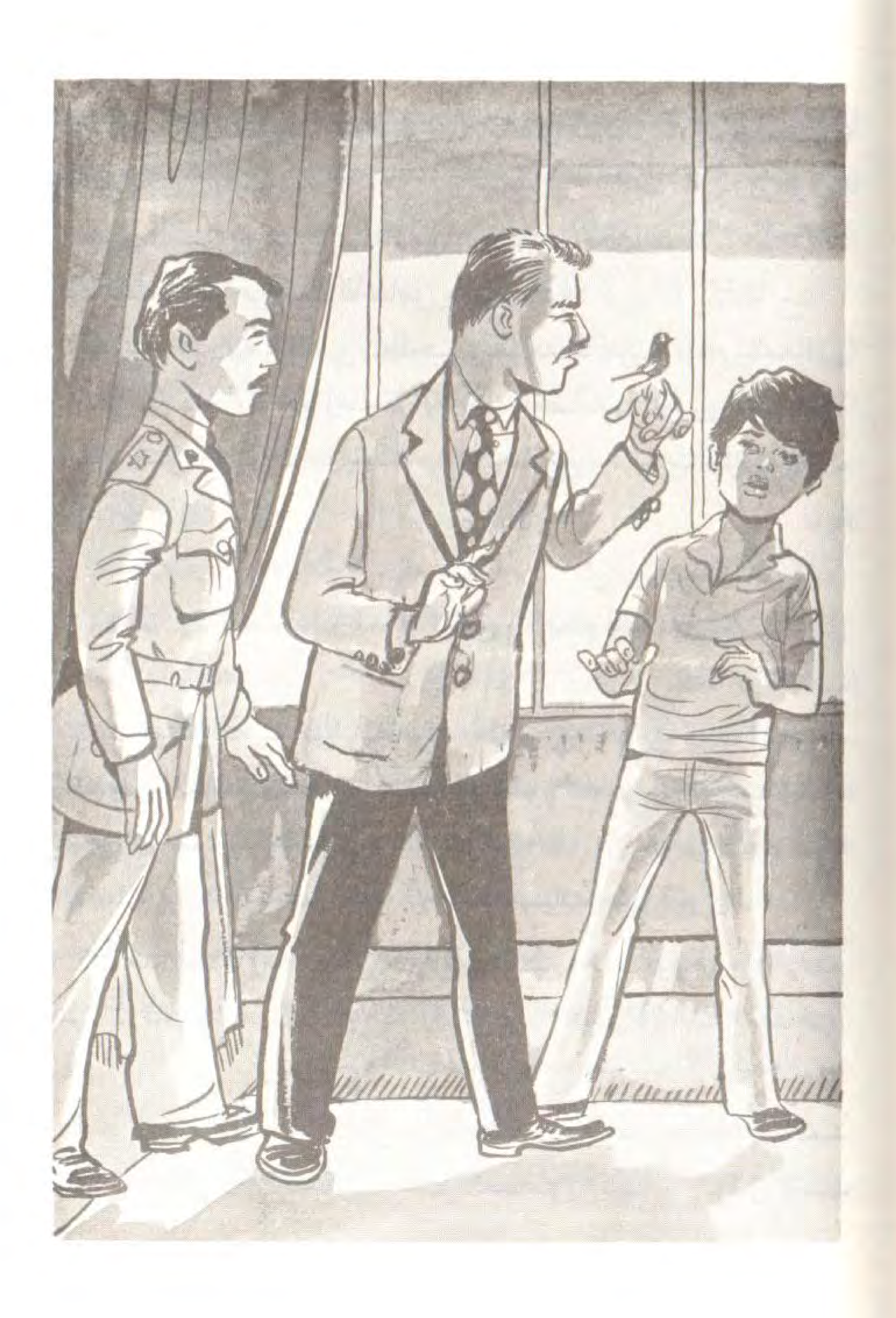
وضع المسرة في مكانها ، ثم نهض وطلب من ماهر أن يتبعه ، فلما صارا في الشارع استقلا سيارة من سيارات الشرطة ، وأسرعا بها إلى المنزل ٣١ شارع المنصور .

كانت حملة رجال الشرطة بقيادة الملازم علي قد سبقتهما إلى المنزل ، وداهمته ، ولكنها لم تجد غير أقفاص خاصة بالعصافير ولكنها خالية منها . . كما وجدوا فوق أرض البهو قطعاً من القطن ملوثة بالدم .

قال الملازم علي :

ـ لم نجد للسيارة أثراً ، ولا شيء في المنزل سوى بضعة ملابس في الحجرة الوحيدة الصالحة للسكن بالطابق العلوي .

صعد المفتش إلى الحجرة المذكورة ، وألقى نظرة على الملابس التي



كانت داخل خزانة صغيرة ، ثم قال لماهر :

ـ فتش هذه الملابس بدقة ، ثم انتزع جيوبها ، وأرسلها الى المعمل للتحليل .

صدع ماهر بالأمر بينما راح المفتش يجوس خلال المكان يفحص كل شيء تقع عليه عيناه . ولكنه لم يعثر على شيء قد يفيد التحقيق .

انتهى ماهر من مهمته دون الوصول إلى شيء ذي أهمية ، اللهم إلا قطعة من المطاط وجدها في أحد الجيوب ، لا يزيد طولها عن سنتيمتر واحد . . وهي على شكل أنبوبة مجوفة في رأسها سدادة دقيقة من البلاستيك .

مدّ بها يده مفتوحة إلى المفتش وقال :

ـ عثرت على هذه في أحد الجيوب .

تناولها المفتش بعناية ، ففحصها ثم أعادها إلى ماهر وهو يقول :

ـ امضِ بها فوراً إلى المعمل ، ثم عد بها إلي مع نتيجة التحليل .

وهبطا إلى الطابق الأرضي ، وتجمع رجال الحملة للانصراف ، ثم غادروا المنزل بعد أن تركوا خلفهم اثنين من الشرطة السرية لمراقبة الدار واعتقال كل من يحاول دخولها .

وبينما كان المفتش خارجاً من الباب الداخلي إذا بعصفور أصفر اللون يمرق من جانب وجهه في طريقه إلى داخل المنزل .

كاد العصفور يصطدم بوجه المفتش الذي رفع يده في حركة لا إرادية نحو وجهه كأنما يحمي بها نفسه . وكم كانت دهشة المفتش عظيمة حينما

رأى العصفور يقف على يده المرفوعة في دعة واطمئنان ، وإن كان التعب والجهد بادِيَينْ عليه .

أطبق المفتش راحته على العصفور الوديع ، وقال لماهر :

ـ هات واحداً من هذه الأقفاص يا ماهر !

أسرع ماهر إليه بالقفص المطلوب ، ففتحه المفتش ، ودفع بالعصفور الأصفر إلى داخله ، ثم أغلقه . وما كاد العصفور يتحرر من قبضة المفتش حتى راح يرفرف بجناحيه الصغيرين بحركات سريعة دون توقف .

أخذ المفتش يتأمله بإمعان ، ثم قال لماهر :

ـ هناك على ذلك الرف بضعة أكياس بها طعام للعصافير . . هات لي واحداً منها يا ماهر . .

أخذ المفتش الكيس من يد ماهر ، وأفرغ ما كان به من الحب في الوعاء المخصص له داخل القفص ، فأكب العصفور الجائع يلتقط الحب بمنقاره الصغير في نهم وشراهة ظاهرَيْن . فلما شبع قفز إلى حوض صغير للماء كان بداخل القفص أيضاً فحسا منه عدة حسوات حتى ارتوى .

كان هذا يحدث وماهر ينقل بصره بين المفتش والعصفور في حيرة وعدم فهم . . كان يتساءل كيف يضيع المفتش وقته الثمين في العناية بعصفور شارد ؟!

عاد العصفور ، وقد انتهى من طعامه ، يرفرف بجناحيه ، فمدّ المفتش راحته داخل القفص ، فقفز العصفور إليها . وبرفق بحث

المفتش تحت أجنحته بأصابعه . فعثر على أنبوبة من البلاستيك مشدودة إلى الجناح بخيط من المطاط دقيق جداً ، فانتزعها برفق زائد ، وماهر ينظر إليه مبهوتاً ، وكأنه ينظر إلى ساحر يأتي أمراً خارقاً .

فتح المفتش الأنبوبة الجديدة فعثر في داخلها على ورقة مطوية قد ضغطت في طيها ضغطاً شديداً حتى صارت في أقل من حجم الأنملة . فلما نشرها تبين أنها ورقة نقدية من فئة الخمسين ليرة . .

أخرج المفتش من جيبه منديلاً لفّ به الورقة النقدية بحذر وهو يقول :

ـ الآن اتضح كل شيء . .

ورغم كل هذا ظل ماهر لا يفهم شيئاً مما يجري حوله ، فلما استقلاّ السيارة قال المفتش :

ـ إنها أحدث طريقة لتوزيع المخدرات على المدمنين . . لقد نجح هذا الداهية في ترويض العصافير الوديعة ، واستعملها في إيصال سمومه إلى العملاء بعد أن يرسلوا ثمنها بالطريقة التي رأيتها .

بُهت ماهر وقال في دهْشة بالغة :

ـ اعذرني يا سيدي ، ولكني لا أفهم شيئاً ، فكيف يكون تاجر المخدرات هو مدرب العصافير ، وقد رأينا أن العصفور المدرب قد أتى من عند العميل المدمن يحمل ثمن المخدر المطلوب ؟

ابتسم المفتش جميل لسذاجة مساعده وقال :

ـ هذا هو ما يحدث تماماً . . العصفور عند العميل ليحمل ثمن

الإرسالية المطلوبة من المخدر . . ولكنه قبل ذلك كان عند التاجر الذي دربه ثم زود به عميله . . وليس على العميل اذا أراد إرسال العصفور إلاّ أن يقطع عنه الطعام والشراب ساعات طويلة ، ثم يطلقه ، فينطلق العصفور الجائع العطشان إلى منزل التاجر حيث اعتاد أن يتناول طعامه وشرابه . ولعلك يا ماهر لاحظت حالة الجوع الشديد التي كان عليها العصفور المسكين لحظة وصوله .

أجاب ماهر وقد بدأ يفهم الأشياء :

ـ حقاً يا سيدي . . لقد كان في غاية الجوع والعطش !

قال المفتش مكملاً شرحه :

ـ قرأت مرة أن أحد مهربي الألماس استخدم الحمام العادي لا حمام الزاجل في تهريب الألماس إلى خارج الحدود .

سأله ماهر في استغراب :

ـ ولماذا لم يستخدم حمام الزاجل مع ما هو معروف عنه من البراعة في مثل هذه الشؤون ، حتى لقد استخدم في نقل الرسائل والمعلومات العسكرية أثناء الحروب ؟

اجابه المفتش :

ـ لأن حمام الزاجل معروف أنه يستخدم في هذه الأمور ، فتكرار مروره فوق منطقة الحدود قد يثير الشبهات . ولهذا فإن الدول يقظى لتحركات هذا النوع من الحمام ، وقد أعدّت لاصطياده أمهر الرماة . والطريقة المتبعة في تدريب الحمام العادي هي تجويعه مدة أطول من اللازم ، ثم بذر

الحَبّ أمامه في المنزل المراد عودته إليه ، ثم إطلاقه من أقفاصه التي يكون فيها ، فإذا رأى الحمام الحَبّ وقع عليه والتقطه بمناقيره . . وتعاد الكرة مرات حتى يألف الحمام مكانه ومدربه الذي يشرف على إطعامه . وبعد انتهاء التدريب يحمل الحمام إلى أمكنة بعيدة عن مكانها الذي ألفته ، فإذا أطلقت من أقفاصها طارت قاصدة مكانها الأول تهديها غريزة خاصة غرزها الله سبحانه وتعالى في كثير من الحيوانات ، وهي غريزة الأهتداء .

وسكت المفتش هنيهة قال بعدها في دهشة وإعجاب صادِقَيْنْ :

ـ ولكن صاحبنا هذا نجح في تدريب العصافير . . وهذه براعة فائقة لا شك . . !

سأله ماهر :

ـ ألم يكن من الأفضل يا سيدي المفتش أن تكلف الرجلَيْنْ اللّذَيْن تركناهما أمام المنزل لحراسته بالقبض على كل عصفور يصل إلى الدار أثناء وجودهما ؟

أجاب المفتش :

ـ لا أظن يا ماهر . . ألا تذكر أن الرجل غادر الدار ثم عاد مسرعاً حين كان سرور في أسره ؟

قال ماهر وإن كان لم يدرك بعد ما يرمي إليه المفتش :

ـ نعم هذا ما قلته أنت يا سيدي !

قال المفتش :

ـ هذا ما أفادنا به خالد . . وكانت عودة الرجل لا شك من أجل هذا

العصفور ، والدليل على ذلك أن كل الأقفاص كانت فارغة .

تساءل ماهر :

ـ ألم يعلل قبضه على سرور بأنه عقاباً له على فتحه أحد الأقفاص وتنفيره العصافير التي كانت فيه ؟

هز المفتش رأسه موافقاً ، وقال :

ـ نعم . . العصافير التي كانت تحت التدريب .

أطرق ماهر مفكراً في هذه المقدرة العجيبة التي مكنت هذا المجرم أن يدرب العصافير الرقيقة لتصبح أحدث وأضمن وسيلة لترويج سمومه دون أن يخشى ملاحقةً أو مراقبةً من أحد ، إذ كيف يمكن أن يشك أحد في عصفور ، ويخطر بباله أن هذا المخلوق الصغير يحمل تحت جناحه أشد أنواع السموم فتكاً ؟!

* * *

الرجل المجهول يهاجم بعنف

وصلت ليلى وعصام قبل وصول وليد بساعة استمعا خلالها إلى المغامرة العجيبة التي خاضها سرور وفينو وفصيح وحدهم . راح الاثنان يتابعان تفاصيل الحوادث في حماسة وإعجاب شديدَيْن ، فقد برهن فينو وصاحباه أنهم قوة متماسكة لا يَسْهُل قَهْرُها .

قالت ليلى متسائلة :

ـ لا شك أن الرجل هو الآن في قبضة عمي جميل . . !

استغرب خالد قولها وقال :

ـ وأية تهمة يستطيع بابا توجيهها إليه ؟ لو أنك استمعت إلى ما جَدَّ في الأمر ما تساءلت . .

أجابت ليلى ضاحكة :

ـ هناك أكثر من سبب واحد يكفي للقبض عليه . . ألم يقبض على سرور ؟ ألم يهددكم بمسدسه ؟ أليس في كل هذا ما يشكل تهمة تسوّغ القبض عليه ؟

ضحك عصام وقال :

ـ ليس في كل ما ذكرت ما يسوّغ القبض عليه . .

أثارها جواب عصام المعاند فقالت في حماسة :

ـ كيف . . ؟ ألم يحتّجز كلاً من سرور وفصيح ؟ ألا يمكن اعتبار ذلك سرقة لأموال الآخرين ؟

تدخل خالد في النقاش قائلاً :

ـ لا يا ليلى إنه لم يسرقهما . . بل هما اللذان ذهبا إليه في منزله . . وعلى هذا يُعَدُّ شخصاً يدافع عن نفسه إذا قبض على حيوان يفسد له أمواله . .

كان سرور يصغي إلى الحديث الدائر بانتباه شديد ، وينقل بصره بينهم كأنه يتابع تفاصيل الحديث الذي أدرك من تكرار اسمه فيه أنه يدور حوله . وسبقه فصيح فعبّر عما يدور في خَلَدِه عندما صاح :

ـ سرور حبيبي . . ! الرجل ثور . . ! فصيح مسكين . . ! الرجل ثور . . !

وتدخلت ماما سعاد الآن في الحديث فقالت تحذرهم :

ـ ولكن قال جميل إن صاحب السيارة وجد غريقاً في البحيرة . . وألح على خالد بعدم الخروج من المنزل . . فالأمر إذن خطير . . فانسوا هذا الأمر ، واكتفوا بسماع تفاصيله من عمكم جميل عندما يعود . .

ولكن يبدو أن الأولاد إذا تركوا الأحداث ، فإن الأحداث لن تتركهم . فما كادت ماما سعاد تلفظ آخر كلماتها حتى دوّى رنين جرس الباب الخارجي ، فرفع فينو رأسه ، ثم نبح ، ثم هبّ من مكانه مسرعاً

يهبط الدرج ، فأسرع خالد خلفه ليرى مَنِ الطارق ، أما الآخرون فقد خرجوا جميعا إلى الشرفة المطلة على الباب .

وحدث كل شيء بعد ذلك في سرعة بالغة ، حتى إن صوت صراخهم اختلط بنباح فينو الغاضب ، إذ ما كاد الأولاد يبلغون الشرفة حتى سمعوا صوت طلق ناري ، فنظروا فزعين ، فاذا رجل ذو لحية مثلثة يضع مسدسه في جيبه ، ثم يركب سيارته وينطلق بها في سرعة جنونية ، أما فينو فكان مقيماً أمام الباب ينبح في غضب .

وأسرع خالد مذعوراً ، فانحنى على فينو يتفحصه خشية أن يكون الرجل الشرير قد آذاه ، ولكن فينو لحسن الحظ كان سليماً معافى ، لأن الرجل أخطأه .

كان الفزع الذي سيطر على خالد من جراء إطلاق النار على فينو قد شل تفكيره ، وأفقده سرعة البديهة التي تميز بها دائماً ، فانشغل بالاطمئنان على كلبه الوفي عن التقاط رقم السيارة . . وكل ما استطاع ملاحظته هو أن الرجل المجهول كان يستقل سيارة أخرى غير تلك التي كان يركبها وهو خارج من المنزل الكئيب .

واستبد الذعر بماما سعاد التي صرخت في خالد قائلة :

ـ خالد . . ! اصعد فوراً . . !

ثم التفتت إلى باقي الأولاد في الشرفة فأخذت تدفع بهم الواحد تلو الآخر إلى الداخل . وعندما صعد خالد وفينو استقبلوهما في دهشة

وذهول لهذا الحادث المفاجىء الذي كان من الممكن أن يسفر عن أوخم العواقب . فماذا كان يحدث لو أن الشرير أصاب خالداً أو فينو ؟!

إن التفكير في هذا الاحتمال قد ملأ نفوسهم فزعاً ، وأفقدهم الشهوة إلى الكلام فجلسوا واجمين لا يقولون شيئاً .

أسرعت ماما سعاد إلى الهاتف فاتصلت بمكتب المفتش جميل ، وحين أبلغوها أنه ليس في مكتبه طلبت الحديث مع النقيب ماهر ، ولكن الآخر كان غائباً ، فطلبت من المتكلم أن يبلغ المفتش حين حضوره بضرورة الاتصال بالبيت لأن أمراً مهماً قد حدث .

وضعت المسرة وقالت في خوف يمازجه الغضب :

ـ يا له من مجرم . . ! هكذا . . وفي رابعة النهار ! ؟ أية جرأة هذه ؟ !

قال خالد محاولاً تهدئتها !

ـ الحمد لله يا ماما . . ! لقد كانت النتيجة سليمة . . !

قاطعته في عنف قائلة :

ـ وكان من الممكن أن تكون غير ذلك . . أكان ما حدث ضرورياً لتدرك أن أباك لا يلقي أوامره جزافاً ؟! لقد أمرك بعدم مغادرة البيت . . لعله كان يتوقع أمراً كهذا الذي حصل . .

أجابها بلطف :

ـ وهل خالفت أمره يا ماما . . ؟ أنا لم أغادر البيت كما رأيت بنفسك . . قالت ليلى وقد هدأ روعها بعض الشيء :



- إن خالتي على حق يا خالد . . فلولا لطف الله لحدث اليوم ما لا تحمد عقباه . . إنه واحد من أعرق المجرمين في الإجرام . .

وسمعوا جرس الباب يرن مرة أخرى ، فنظر بعضهم إلى بعض في توجس ، فقالت ماما سعاد :

- لا يتحرك أحد منكم . .

ونظر خالد إلى فينو يستطلع منه شيئاً عن شخصية القادم ، فرآه ساكناً يهز ذنبه في ترحيب ، فقال :

- إن القادم صديق لا عدو . .

قال عصام وهو ينظر إلى ساعته :

- لا شك أنه وليد . .

وعندئذ مضى خالد إلى حجرة المائدة ، وسار نحو نافذتها المطلة على الباب الخارجي ، فنظر من جانب منها ، فوقع بصره على وليد بهيكله الضخم واقفاً أمام الباب ينظر إلى نوافذ البيت مستغرباً إبطاء سكانه في الرد على الجرس .

أظهر خالد نفسه من النافذة ، وقال له :

- إني قادم إليك سريعاً يا وليد . . !

ولم يشعر خالد بأن الجميع كانوا وراءه بعد أن لحقوا به ، وأنهم كانوا ينظرون من فوق كتفيه إلى الشارع حيث تجمهر بعض المارة على الرصيف المقابل ، وراحوا يحدث بعضهم بعضاً ، ويشيرون إلى المنزل بين الفينة

والأخرى . كان واضحاً أن صوت الطلق الناري هو الذي أثار فضولهم .

أسرع عصام فهبط الدرج ، ثم فتح الباب لوليد الذي ابتدره قائلاً :

- أراكم قد بكرتم في الحضور ؟!

أجاب عصام :

- ليتك فعلت مثلنا . . إذن لرأيت بعينيك أغرب حادث صادفنا . .

سأل وليد ببلاهة :

- وماذا حدث ؟ هل تلقيتم هدية حلوى لم تكن متوقعة ؟

أجاب عصام باسماً :

- نعم لقد كانت هدية غير متوقعة حقاً . . ولكنها لم تكن من نوع الحلوى . . على أية حال سوف تسمع التفاصيل بعد قليل . . هيا . .

واستقبلها فصيح صائحاً :

- وليد . . وليد . . حبيبي سرور . . الرجل ثور . . !

نظر وليد إلى الطائر ببلاهة وهو لا يفهم شيئاً ، ثم قال محيياً :

- أولاً ، صباح الخير يا رفاق . . ولكن ماذا يعني فصيح بالرجل الثور ؟

ضحكت ليلى وقالت :

- إنها قصة طويلة . . اجلس أولاً ، وسنقص عليك كل شيء . .

وجلس وليد يستمع إلى تفاصيل القصة العجيبة . فلما انتهت ليلى من سردها قال بغيظ :

- كل هذا حدث اليوم ؟ ليتني كنت هنا حتى ألقن هذا اللعين الدرس

الذي يستحق . .

ـ قالت له ماما سعاد تسأله :

ـ وماذا كان باستطاعتك أن تفعل ؟

أجابها خالد ضاحكاً :

ـ حقاً يا ماما . . لو كانوا معي عندما ذهبنا أنا وفصيح وفينو لما كان أفلت من أيدينا . . ولكني اضطررت إلى تركه خوفاً من بابا . .

قال عصام بأسف :

ـ لا أظن أن عمي كان سيغضب لو أنك قيدته حتى يرى رأيه فيه . ولا سيما أنه حاول الاعتداء عليكم بمسدسه .

تنهد خالد ندماً وقال :

ـ وما كان يدريني أنه سيحدث ما حدث ؟ لقد خفت أن يصيب الرجل بعض الأذى من عضات فينو ونهشات سرور فيلومني أبي لوماً شديداً . .

وقطع كلمات خالد رنين جرس الهاتف . وكان المتكلم هو المفتش جميل الذي ما كاد يصل إلى مكتبه ، ويعلم أن زوجته طلبته في غيابه ، حتى استبد به القلق ، فاسرع يتصل بهم .

وسمعته ماما سعاد يقول في لهفة :

ـ سعاد . . لقد أبلغوني أنك تريدين محادثتي . . ماذا جرى ؟

أجابته ماما سعاد بتوتر وانفعال :

ـ لقد أطلق الرجل ذو اللحية الرصاص على خالد وفينو . .

تقبضت أسارير المفتش ، وسألها بجزع :

ـ وهل أصيب أحدهما ؟

أجابته بسرعة تطمئنه :

ـ لا . . لم يصب أحد والحمد لله . .

أجابها بحزم بعد أن تمالك أعصابه :

ـ سأحضر فوراً . . لا تخرجوا إلى الشرفة ، ولا تطلّوا من النوافذ . . هل الأولاد كلهم عندك ؟

أجابته :

ـ إنهم هنا جميعاً . . ولن أدع أحداً منهم يتحرك من مكانه . .

وضع المفتش جميل مسرة الهاتف وقد اكتسى وجهه بمسحة من الغضب الصارم ، ثم استدعى النقيب « ماهر » وقال له :

ـ لقد ظهر صاحب العصفور وأطلق الرصاص على خالد وكلبه .

بهت ماهر وتصلب وجهه وسأله بلهفة وقلق :

ـ كيف حدث هذا . . ؟ هل وصلت به الجرأة إلى هذا الحد ؟ ولكن أخبرني يا سيدي هل أصيب خالد بسوء ؟

أجابه المفتش :

ـ لقد أخطأهما جميعاً . . ولكن يجب أن تذاع نشرة سريعة بأوصاف هذا المجرم على جميع سيارات الشرطة . . كلف أحد رجالك بهذه المهمة ، وارجع إلي سريعاً لنذهب إلى البيت ونعرف تفصيلات الحادث .

وغادرا مبنى مديرية الشرطة مسرعين ، وانطلقت بهما السيارة تنهب

الأرض نهباً . والمفتش صامت بادي الغضب ، وكذلك كان النقيب ماهر حتى وصلا إلى البيت .

كان الناس لا يزالون متجمهرين أمام الفيلا ، فقال المفتش لماهر :

ـ ماهـر . ! لا شك أن هؤلاء النـاس قد شاهـدوا الحـادث . . استخبرهم فربما كان عند أحدهم ما يفيدنا .

مضى ماهر نحوهم وقال لهم :

ـ هل شاهد أحدكم ما حدث ؟ أنا النقيب ماهر من فرقة المباحث الجنائية . .

أجابه أحد الوقوف قائلاً :

كنت في هذا المكان وقت إطلاق النار . .

سأله النقيب ماهر :

ـ وهل كان معك أحد من هؤلاء الإخوان ؟

التفت الرجل يتفحص وجوه القوم ثم قال :

ـ لا أظن . . كنت وحدي . . ثم جاء هؤلاء الإخوان على صوت الطلق الناري . . وكلهم من سكان هذه المنطقة . . .

اتجه ماهر بحديثه الى الرجل وقال :

ـ وما اسمك يا أخ ؟

أجابه الرجل :

ـ اسمي صالح عمر . . وأعمل محامياً . . وهذا هو منزلي . . إن السيد المفتش جميل يعرفني معرفة جيدة .

ابتسم ماهر للرجل وقال :

ـ أهلاً وسهلاً . . ! إن هذا يسهل الأمور . . هل تتفضل بالمجيء معي فقد يرى السيد المفتش أن يستوضحك ويلقي عليك بعض الأسئلة ؟

أجاب المحامي :

ـ بكل سرور . . تفضل !

كان المفتش جميل قد ألمّ إلماماً سريعاً بما حدث ، وكان يزداد غضباً كلما مضوا شوطاً آخر في القصة ، وأخيراً توجه بالسؤال إلى خالد فقال :

ـ تقول إنها سيارة أخرى غير الفيات . . ؟

أجابه خالد :

ـ نعم يا بابا . . إنها سيارة حمراء . . وإني لآسف إذ لم استطع التقاط رقمها . فكر المفتش هنيهة ، ثم قال :

ـ معنى ذلك أنه تخلص من السيارة الأولى . . إن هذا يعقد الأمور بعض الشيء . وظهر ماهر صاعداً . وبعد أن أحنى رأسه تحية للسيدة سعاد قال للمفتش :

ـ الاستاذ صالح عمر المحامي في الطابق الأسفل . . يقول إنه شاهد الحادث بعينيه إذ كان ماراً في تلك اللحظة . . لم أستخبره بعد . . وفضلت أن تسمع أقواله بنفسك . . لقد زعم أن بينك وبينه معرفة . .

هب المفتش من مقعده بنشاط وقال :

ـ عظيم . . ! هلمّ بنا . . !

وهبط المفتش جميل يتبعه ماهر إلى الطابق الأول حيث صافح جاره مرحباً .

وبادر المحامي قائلاً :

ـ الحمد لله يا سيدي المفتش . . ! الحمد لله . . !

أجابه المفتش جميل وهو يهز يده :

ـ مرحباً بالأستاذ صالح . . أهلاً بك . !

قال الأستاذ صالح في جِدٍّ وأسف :

ـ هل وصلت الجرأة بهذا المجرم اللعين إلى هذا الحد ؟! أقسم لك يا سيدي المفتش أن الخوف شلني عن الحركة . . ولكني أعود فأحمد الله أن الأمر مَرَّ بسلام . !

قال المفتش وهو يدعو جاره إلى الجلوس :

ـ الحمد لله كذلك على أن رجلاً واعياً مثلك قد شاهد الحادث . . إن معلوماتك ووصفك لما جرى بدقة ، كل ذلك سيساعدنا أكبر المساعدة ، فهل تتفضل بأن تقص عليّ ما رأيت ؟

اعتدل الاستاذ صالح في مجلسه وقال :

ـ كنت في الطريق إلى الصيدلية لشراء بعض حبوب الأسبرين . . وعندما أصبحت في مواجهة الفيلا توقفت سيارة حمراء ، ثم هبط منها الراكب الوحيد الذي كان بها . . قطعاً كان الأمر عادياً فلم أتوقف عن المسير ، ولكن صوت طلق ناري سمّر أقدامي ، فالتفتُّ مذعوراً فشاهدت الرجل ينطلق بسيارته في سرعة رهيبة . .

قاطعه المفتش سائلاً إياه في لهفة :

ـ هل التقطت رقمها . . ؟

ابتسم الاستاذ صالح قائلاً :

ـ هذا طبيعي . . وهو رقم سهل التذكر إنه ٦٦٦٧ واللوحة سوداء خاصة .

دون ماهر الرقم عندما عاد المفتش جميل يسأل الأستاذ :

ـ هل تذكر طرازها . ؟

أجاب المحامي :

ـ إنها طراز فورد حمراء اللون . .

نظر المفتش إلى ماهر فرآه يدوّن الاوصاف بسرعة فعاد الى الأستاذ يسأله :

ـ وهل تذكر شيئاً من أوصاف الرجل راكب السيارة . ؟

أجابه الأستاذ صالح :

ـ أما هذا فلا . . كل ما أذكر من أوصافه أنه كان ضخم الجثة ملتحياً . . هذا كل ما أمكنني أن أميزه من أوصافه . .

التفت المفتش جميل إلى ماهر وقال :

ـ بسرعة يا ماهر . . أبلغ غرفة العمليات أوصاف السيارة واطلب منهم إذاعة نشرة بإيقافها حيثما وجدت .

تركهما ماهر وصعد إلى الطابق العلوي ليستخدم الهاتف ، فوجد هناك الفرقة كلها متجمعة ، والجميع متلهفون لمعرفة ما يدور في الطابق

الأول . . فلما ظهر النقيب ماهر اتجه بحديثه إلى السيدة سعاد :

ـ أتأذنين يا سيدتي بالهاتف لأبلغ تعليمات سيدي المفتش ؟

أجابت السيدة سعاد :

ـ تفضل . .

اتصل ماهر بغرفة العمليات في مديرية الشرطة ، وقال :

ـ النقيب ماهر . . من ؟ جمال ؟ اكتب هذه النشرة . . سيارة خاصة حمراء اللون طراز فورد تحمل الرقم ٦٦٦٧ يقودها مجهول ضخم الجثة ملتح . . أمر إلى جميع سياراتنا بضبط السيارة والقبض على سائقها أينما وجد . .

وعندما انتهى ماهر من مكالمته سألته السيدة سعاد :

ـ هل ستنصرفون الآن . . ؟ أرجو أن تقبضوا على هذا المجرم في أسرع وقت . .

أجابها ماهر باسماً :

ـ اطمئني يا سيدتي . . سيكون في الطريق بعض رجالنا لحراسة البيت إلى أن يتم القبض على هذا المجرم الخطر . .

واستأذن ماهر وهبط إلى حيث كان المفتش غارقاً في حديث طويل مع الأستاذ صالح عن الجريمة والمجرمين . كان ماهر يتوقع أن يكون حديثهما عن الحادث وملابساته ، فإذا به يسمعهما يتحدثان عن الجريمة بصفة عامة ، وعن تطورها ، وكيف يستغل المجرم كل مستحدثات العلم في سبيل الوصول إلى غرضه الإجرامي .

قال ماهر :

ـ لقد أبلغتهم أوامرك يا سيدي . .

قال المفتش جميل بارتياح :

ـ شكراً . . ! والآن علينا أن نجري تجربة قد توصلنا إلى طرف الخيط الذي سيقودنا إلى هذا المجرم . .

سأله الاستاذ صالح :

ـ تقصد السيارة ؟ أرجو ذلك من كل قلبي .

ولكن المفتش خيب ظنه بقوله :

ـ أنا لا أعوّل كثيراً على السيارة ، فإني أظن أنها مسروقة ، وأظن أن المجرم سيتخلص منها وشيكاً . .

اتسعت عينا ماهر دهشة وهو يقول :

ـ أتعني يا سيدي أنه سرقها ليستخدمها في محاولته هذه فقط ؟

أومأ المفتش برأسه وقال :

ـ هذا ما أظنه يا ماهر . . وكل أملي ألاّ يسرع في التخلص منها . .

سأله النقيب ماهر :

ـ وماذا تريدني أن أفعل يا سيدي ؟

أجابه المفتش :

ـ اذهب وعد إليّ بالقفص والعصفور . . سأنتظرك هنا حتى تعود . . سنجري هذه المحاولة . . واني أتوقع أن تكون ناجحة . .

وبدت الدهشة وعدم الفهم على وجه الأستاذ صالح ، وكذلك على

قسمات النقيب ماهر ، ولعل الاثنين كانا يتساءلان عن العلاقة بين القبض على مجرم وبين عصفور صغير في قفص .

انصرف النقيب ماهر مسرعاً لإنفاذ أمر رئيسه ، كما استأذن الأستاذ صالح في الانصراف ، فسار المفتش يشيعه حتى باب الحديقة الخارجي ، وقال يودعه :

ـ شكراً لك أستاذ صالح . . ربما احتجنا إلى تسجيل إفادتك في محضر . . لا ؛ ليس الآن . . ولكن أرجو ألاّ يكون في ذلك إزعاج لك .

أجابه الأستاذ صالح وهو يشد على يده :

ـ لا إزعاج أبداً . . أنا محامٍ وأقدّر هذه الأمور والإجراءات ، وأعلم أن من واجبي خدمة العدالة بكل وسيلة . . أنا في الخدمة في كل وقت . .

عاد المفتش إلى البيت ، ثم صعد إلى الطابق العلوي حيث وجد الجميع في حالة متوترة من الترقب والانفعال واللهفة .

جلس في هدوء في مقعده المفضل ، ونظر إلى خالد مليًّا ، ومرت دقائق طويلة دون أن يقول شيئاً . . وبعد تفكير قال :

ـ خالد . ! إن نجاح تجربتي يتوقف عليك ، بل عليك وعلى طائرك هذا ، فهل يمكنني الاعتماد عليكما ؟

* * *

الفـــخ

تهلل وجه خالد حماسة صادقة وقال :

ـ لا شك في ذلك يا بابا . . أنا وفصيح على استعداد لكل شيء . .

قال المفتش يشرح مشروعه :

ـ سيحضر ماهر أحد عصافير الرجل المدربة . . وسنطلقه راجين أن يطير إلى بيت أحد العملاء المدمنين . . فهل يستطيع فصيح أن يتعقبه إلى المكان ؟ إن استطاع ذلك وأرشدنا إلى بيت العميل فسيؤدي لنا بذلك خدمة جليلة .

أجابه خالد بفرحة ظاهرة :

ـ سيفعل فصيح . . وسوف ينجح . . أؤكد لك ذلك يا بابا . . ولكن ما شأن العصفور بالمدمنين يا بابا ؟

أجاب المفتش موضحاً :

ـ إن هذا المجرم تاجر مخدرات . . ولكيلا يلفت أنظار الشرطة السرية إليه وهو يقوم ببيع سمومه إلى المدمنين ، درّب عصافيره على التردد بينه وبين هؤلاء المدمنين ، ثم قام بتوزيع العصافير على عملائه في الأحياء المختلفة ، فإذا أراد العميل المدمن جرعة من المخدر وضع قيمة الجرعة في

أنبوبة بلاستيكية وربطها بجناح العصفور ، فيطير هذا إلى منزل التاجر المجرم ، ثم يعود إليه حاملاً جرعة المخدر في الأنبوبة نفسها .

بهت خالد مما سمع من أبيه ، وقال في دهشة :

- يا له من داهية . . ! إن ترويض العصافير ليس أمراً سهلاً . .

أجابه أبوه :

- أعلم هذا . . ولهذا السبب أود لو أسهمت في محاولة الوصول الى هذا المجرم .

أجاب خالد في حماسة صادقة :

- كن واثقاً يا أبي بأنني سأبذل كل ما في استطاعتي . .

وسكت المفتش لحظة ثم قال :

- هذا لا يكفي . . لا بد من تعاون طائرك معنا . .

قال خالد :

- اعتمد على فصيح كما تعتمد عليّ . . إنه مدرب أحسن تدريب .

وعندئذ لاحت بوادر الارتياح في قسمات وجه المفتش الذي قال :

- إذن إليك ما أطلبه منك . .

ومضى المفتش جميل يشرح لابنه خطته . وكانت تعتمد في جميع مراحلها على فصيح ومدى استجابته ، فقال خالد بحماسة :

- إني أضمن لك هذا يا بابا . . بكل ثقة أضمن لك النجاح .

اطمأن المفتش جميل لهذا الوعد وقال :

- في هذه الحالة أعدك أنا أيضاً بأن أصل الى المجرم خلال أيام قليلة .

وتشجع خالد فسأله :

- بابا . . ! ما كنت لأحشر نفسي في أعمالك . . ولكن هل تسمح لي بأن أستوضحك بعض النقاط الغامضة ؟

ابتسم الوالد الحنون وقال :

- إنني أقدر مقدار ما عندك من اللهفة والشوق لمعرفة ما لم أشرحه لك من تفاصيل خطتي . . ولك كل الحق في معرفة ذلك . . ولكن للمهنة سريتها يا خالد . . كل عمل له سرّيّته يا ولدي . . ولقد قال رسول الله ﷺ : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . صدق الرسول الكريم ! وأنا أعدك أن تكون أول من يعرف الحقائق عندما يحين الوقت للكشف عنها .

قال خالد في حب واحترام :

- عفوك يا بابا . . ! وأنا أعدك ألاّ أزعجك بعد اليوم بأسئلتي حتى تنتهي القضية .

نظر المفتش جميل إلى ابنه في حب وإكبار ، وقال :

- إذن فإليك الجانب المتعلق بك من خطتي . .

- عندما قمنا بتفتيش منزل هذا الرجل لم نجد أول الأمر ما يستحق الاهتمام . ولكن عندما فتشنا ملابسه القليلة التي خلفها وراءه عثرنا على أنبوبة صغيرة جداً مصنوعة من البلاستيك . . كان يمكن إهمالها . . ولكن خاطراً خطر ببالي فاحتفظت بها لأدرس الأمر بهدوء . ويبدو أن

المقادير وحدها شاءت أن تضع بين يدي الحقيقة ، فقد حدث ما جعل ظنوني حقيقة واقعة . . فقبل خروجي اصطدمت بأحد العصافير يدخل البيت لاهثاً . . بدا واضحاً أن العصفور المسكين تعب مرهق جائع . . فأطعمته وأسقيته . . ولفت نظري ما يقوم به من حركات غريبة . . كان يرفرف بأجنحته في صورة غريبة غير طبيعية . . وحين أمسكت به لم يجفل أو يذعر . . ففحصته فعثرت تحت جناحه على أنبوبة من المطاط تشبه تلك التي عثرنا عليها في ملابس الرجل . . كانت مشدودة إلى جناحه بخيط دقيق جداً من المطاط يشبه ما يستعمله موظفو البنوك في حزم الأوراق النقدية . . وحين فتحت الأنبوبة عثرت على ورقة نقد من فئة الخمسين ليرة مطوية بدقة ، ومضغوطة بحيث تتسع لها الأنبوبة الصغيرة .

وسكت المفتش برهة ريثما مجّ من سيكارته نَفَسَيْنْ ، ثم عاد يقول :

ـ والذي أسعى إليه الآن هو الوصول إلى أحد هؤلاء المدمنين . . وعن طريقه سنصل إلى رجلنا المجرم . . .

قال خالد مستفسراً :

ـ وكيف تعرفون المدمنين من بين ملايين الناس ؟

أجابه المفتش ضاحكاً :

ـ هذه هي مهمتك . .

صاح خالد مشدوهاً :

ـ مهمتي أنا ؟!

أجابه والده بهدوء :

ـ نعم . . بوسعك أنت أن تضع في أيدينا طرف الخيط الذي سيقودنا إلى المجرم .

ازدادت دهشة خالد وقال :

ـ أنا على استعداد لعمل كل شيء تطلبه مني يا بابا . !

قال المفتش :

ـ هل يستطيع فصيح أن يطير خلف العصفور ليرى أين يحط ، ثم يدلنا على المكان ؟

وفهم الآن خالد خطة والده ، وأحس بالسعادة إذ يكلفه والده بعمل مهم كهذا العمل ، فقال :

ـ لا ريب أنه قادر على ذلك . . لقد فعل مثل ذلك أكثر من مرة .

قال المفتش :

ـ في هذه الحالة سنجري التجربة من هنا . . سنملأ الأنبوبة بالسكر الناعم بدلاً من المخدرات ، ونطلق العصفور ، وينطلق وراءه فصيح ليعرف المكان الذي يذهب إليه . . وأهم شيء في العملية هو سرعة وصولنا إلى هناك حتى نتمكن من مراقبة تصرفات المدمن بعد أن يكتشف أن الذي في الأنبوبة ليس إلا سكراً مطحوناً . . ماذا سيظن ؟

أجابه خالد :

ـ سيثور ولا شك . . وسيظن أن الرجل خَدَعَهُ . .

قال المفتش بإعجاب :

ـ أصبت . . هذا ما سيحدث حقاً . . وعلى ذلك سيحاول ، إن كان

يعلم مكاناً للرجل ، أن يذهب إليه مهما كلفه ذلك ، فإن المدمن على تعاطي هذه السموم يفقد عقله اذا تأخر عن تناول جرعته مدة معلومة . .

كان أعضاء الفرقة يصغون إلى الحديث الدائر بين خالد وأبيه دون أن يحاولوا التدخل فيه ، وقد ازداد إعجابهم بذكاء المفتش جميل ، وحسن استغلاله لكل شيء في سبيل الوصول الى المجرم . وقد زاد من سرورهم أن أحد أعضاء الفرقة هو الذي نال شرف المساعدة المرجوة ، وهو فصيح .

كان فصيح يصغي مثل بقية الرفاق ، ولقد سمع اسمه يتردد أكثر من مرة في سياق الكلام ، ولكنه حتماً لم يفهم شيئاً مما كان يسمع . غير أن الأمر اختلف عندما ناداه خالد، إذ سرعان ما ترك مكانه ، وأقبل يمشي الهوينى كعادته ، حتى رفعه خالد على إصبعه ، ووضعه أمامه على المنضدة ، وقال :

- فصيح رائع وعظيم . .

ردد على الفور :

- فصيح رائع . ! فصيح عظيم . ! فصيح عظيم . ! الرجل ثور . !

وضحك الجميع للإضافة التي أضافها على المديح ، فقال خالد :

- يبدو أنه لم ينس الرجل . . وسوف يساعدنا ذلك في مهمتنا . .

والتفت الى الطائر ثانية وقال :

- فصيح يذهب مع العصفور . .

ردد الطائر الذكي :

- عصفور . . عصفور . .

- قال خالد :

- نعم . . العصفور سيطير وتطير معه . .

قال فصيح على الفور :

- فصيح يطير . . فصيح يطير . .

عاد خالد يقول :

- فصيح يعرف المكان . .

كان فصيح على ما يبدو قد فهم فعلاً مهمته إذ أجابه :

- فصيح يعرف . . فصيح يعرف . . .

كان المفتش يسمع ما يجري أمامه وهو لا يستطيع إخفاء اعجابه بذكاء هذا الطائر غير الطبيعي ، ولا بصبر خالد الغريب على إفهامه ما يريد . .

ومضى خالد في تلقين طائره فقال :

- هناك ستجد الرجل . . هناك ستجد الرجل . .

أجابه على الفور :

- الرجل الثور . . الرجل الثور . .

وضحك الجميع ، وقال خالد :

- أصبت يا فصيح . . الرجل الثور . . بابا سيقبض عليه . . فصيح سيعرف مكانه ويقول لبابا عليه . .

قال فصيح وهو ينظر إلى المفتش جميل دلالة على فهمه كل شيء :

- فصيح فاهم . . فصيح فاهم . . فصيح يطير إلى الرجل الثور . .

تمتم المفتش جميل باعجاب :

ـ ذكاء عجيب جداً . . مرحى لك يا خالد . . أقترح أن تكافئه بعدة قطع من السكر ريثما يصل ماهر بالعصفور . .

وتركهم خالد ، ومضى ومعه فصيح الى حجرته حيث زاده معرفة بالمهمة المطلوبة منه . وفي الوقت نفسه زوده بقطعة كبيرة من الشوكولاتة أخذ يقضمها بتلذذ واضح . .



فصيح بطل العملية

رن جرس الهاتف . وكانت المكالمة من غرفة العمليات في مديرية الشرطة . وسمعوا المفتش يجيب قائلاً :

ـ هذا ما كنت أتوقعه . . شكراً . .

ووضع المسرة في مكانها ، والتفت إلى السيدة سعاد ، فقال لها :

ـ عثروا على السيارة في أحد الشوارع . . ولكنها كانت خالية من سائقها . . واتضح أنها ملك أحد الأطباء . . وكان قد أبلغ الشرطة عن سرقتها .

قالت سعاد بدهشة :

ـ لم أر ولم أسمع في حياتي عن مجرم مثل هذا . . إنه يرتكب الجرائم المتتالية بسهولة عجيبة . .

أجابها بصوت جاد :

ـ وهذا ما سيوقعه في أيدينا وشيكاً ، فإنه متى ركب الغرور مجرماً ، أصبح أقل حذراً ، وأكثر جرأة . وكل ذلك يسهّل علينا أمر القبض عليه . .

وسمعوا في تلك اللحظة صوت سيارة تتوقف ، فقال المفتش جميل :

- هذا ماهر لا شك !

ثم نادى ابنه بصوت مرتفع :

- خالد . . !

وحين ظهر خالد من حجرته وعلى كتفه فصيح قال المفتش :

- هل بطلنا على استعداد ؟

أجابه فصيح :

- فصيح بطل . . فصيح بطل . .

صعد النقيب ماهر وبيده القفص فوضعه على المائدة وفيه العصفور وقال :

- هل اتصلت غرفة العمليات بك يا سيدي ؟

أجابه المفتش :

- نعم . . وهذا ما كنت أتوقعه . .

ثم التفت الى السيدة سعاد وقال :

- أعطيني قليلاً من السكر المطحون يا سعاد . .

وأخرج الأنبوبة من جيبه ، ورفع سدادتها ثم قال لماهر :

- سنحاول معرفة مكان أحد المدمنين بمساعدة هذا العصفور . . والمهم هو سرعة الحركة عندما يعود فصيح ليرشدنا إلى المكان الذي يكون العصفور قد ذهب إليه .

ولم يكد ماهر يصدق أن المفتش وضع خطته على أساس الاعتماد على ذكاء الحيوانات ، فقال باستغراب :

- وهل يمكن الاعتماد على عصفور وطائر ببغاء يا سيدي ؟

ضحك المفتش جميل وقال :

- أظن أن الببغاء ستنجح . .

وكم كانت دهشة ماهر كبيرة عندما سمع الببغاء تصيح :

- فصيح ينجح . . فصيح ينجح . . فصيح رائع . .

ضحك الجميع . . وقال المفتش موجهاً حديثه الى النقيب ماهر :

- لقد عثروا على السيارة في منطقة تقع بين مركز المدينة وحيّ النحاسين . . وهذا ما يحملني على الاعتقاد أن للرجل مأوى في هذه المنطقة . .

قال هذا ، ومد يده إلى القفص ، ففتح بابه الصغير بحذر وهدوء . وما كان أشد دهشة الحاضرين عندما رأوا العصفور اللطيف يقفز خارجاً من القفص ، ويستقر على راحة يد المفتش في وداعة وألفة ، ويسقسق بمرح وحبور .

قالت السيدة سعاد :

- يا للعجب . ! هذا أول عصفور أراه في حياتي على مثل هذا الأنس والوداعة . . إنه أليف لا يخاف أبداً . !

كان المفتش قد ثبت الأنبوبة تحت جناحه كما كانت حين اكتشفوا وجودها ، ثم قال لخالد :

- هل فصيح مستعد الآن ؟

صاح الطائر الذكي :

ـ فصيح مستعد . . فصيح مستعد . .

وخرج المفتش بالعصفور إلى الشرفة ، ومن خلفه خالد وفصيح ، وفتح راحته ، فانطلق العصفور ، وفي أثره فصيح وهو يصرخ :

ـ يخرب بيتك . ! على مهلك ، يخرب بيتك !!

كاد أن يغشى عليهم من الضحك ، فإن سرعة انطلاق العصفور كانت السبب في هذا السباب . وظلوا يرقبونهما حتى غابا عن عيونهم . فقال المفتش :

ـ أرجو أن يوفق في مهمته . . إن نجاحنا يتوقف عليه وحده . .

قال خالد بثقة :

ـ اطمئن يا بابا . . إن فصيحاً سينجح فيما أسند إليه . . إنه لم يخفق مرة واحدة .

سألت السيدة سعاد مستغربة :

ـ ولكن كيف سيرشدكم ؟ هل ستطيرون وراءه ؟

ضحك خالد وقال :

ـ لو كان في وسعنا الطيران خلف العصافير ما أرسلنا فصيحاً في أثر العصفور . . ولكن فصيحاً سيعود بعد أن يعرف المكان ، وسيرشدنا إليه . .

وكأنه تذكر شيئاً فالتفت إلى أبيه وقال :

ـ ولكن في هذه الحالة يجب أن أكون معكم يا بابا . .

ابتسم المفتش وقال :

ـ إنها فرصتك لكي تملي علينا شروطك . . أليس كذلك ؟

احمرّ وجه خالد خجلاً وقال وهو يبتسم :

ـ لا . لا أقصد إملاء الشروط ، ولكنك تعلم أن فصيحاً يحتاج إليّ ، فأنا الوحيد الذي يمكنه التفاهم معه .

وأومأ المفتش برأسه موافقاً ، ثم التفت الى النقيب ماهر وقال :

ـ لننزل يا ماهر حتى نكون على أهبة الاستعداد للتحرك فور عودة فصيح . .

وهبط يرافقه ماهر إلى الطابق الأول ، بينما ظل خالد وأعضاء الفرقة كلهم في الشرفة يتطلعون إلى السماء في لهفة ونفاذ صبر .

ومرت دقائق بطيئة ثقيلة الوطأة على أعصاب خالد ، حتى صاح بفرح :

ـ ها هو فصيح . !

ونظر الجميع إلى حيث أشار ، فرأوا الطائر الذكي يتجه نحوهم في سرعة كبيرة . وما كاد يصل حتى حط فوق كتف خالد الذي بادره بالسؤال :

ـ هل عرفت المكان يا فصيح ؟

أجاب الطائر :

ـ فصيح عرف . فصيح عرف . .

قبله خالد بحب وقال له :

ـ هيا بنا إذن ، فبابا ينتظرنا . .

وهبط به إلى الطابق الأول حيث كان المفتش ، فلما رآهما قال :
- هل نتحرك يا خالد ؟

أجابه وهو في غاية السعادة :

- فصيح على استعداد . .

فخرجوا ، واستقلوا السيارة ، وقال خالد للطائر وهو يطلقه :
- لا تسرع كثيراً يا فصيح . . لا تسرع حتى نلحق بك . .
وانطلق فصيح وفي أثره الثلاثة في سيارتهم .

وعلى الرغم من حرص فصيح على عدم الإسراع ، فإن السيارة لم تكن تستطيع اللحاق به بسبب تعرج الشوارع أحيانا ، أو بسبب ازدحام حركة السير أحياناً أخرى . فكان فصيح يقف بين الحين والحين فوق أحد أعمدة الكهرباء في انتظارهم ، فاذا وجدهم لا يزالون في أثره استأنف طيرانه . . وهكذا . .

وظلوا على ذلك مدة إلى أن حَطّ فصيح على شرفة منخفضة لدار صغيرة جميلة ، وصاح :
- فصيح هنا . . فصيح هنا . .
قال خالد لأبيه :
- إنه يعني أنه وصل إلى هنا . .

لم يتردد المفتش ، بل أصدر أمره الى ماهر بالوقوف بالسيارة في الجانب المقابل للدار من الطريق ، ثم نزل ومعه ماهر فوقفا على الرصيف يرقبان

الدار وما حولها .

نظر المفتش في ساعة يده وقال :

- لقد وصلنا مبكرين . . وعلينا أن ننتظر بعض الوقت ريثما يكتشف المدمن أنه خدع .

ومرت دقائق طويلة دون أن تبدر من سكان البيت أية حركة فقال المفتش :

- خالد . ! خذ طائرك وعد إلى البيت في سيارة أجرة ، فإن وجودك هنا لم يبق له فائدة . .

أومأ خالد إلى فصيح يستدعيه ، فهبط هذا عن الشرفة واستقر على كتف خالد الذي استوقف احدى سيارات الأجرة ، ومضى بها راجعاً والأسف يفعم صدره لأنه يذهب قبل أن يعلم هل استطاع فصيح أن يقدم المساعدة التي طلبت منه أم لا ؟

عاد المفتش وماهر إلى السيارة ، فقبعا بها وراحا من داخلها يراقبان المكان . ولم تمض دقائق على انصراف خالد حتى فتح الباب الأنيق للدار ، وبرزت منه سيدة يتبعها شاب نحيل . وهبط الاثنان الدرج . فلما استقرا على الأرض توقفت السيدة بينما أكمل الشاب طريقه إلى مرآب الدار ، ثم عاد وهو يقود سيارة أنيقة بيضاء اللون . وفتحت السيدة باب السيارة ، فاستقرت إلى جوار الشاب ، وانطلق الاثنان بسيارتهما ، وسيارة المفتش تلاحقها عن كثب .

بعد نصف ساعة من هذه الملاحقة توقفت السيارة البيضاء الأنيقة أمام

فيلا فخمة في ضاحية الأندلس . وترجل الشاب ، ثم مضى إلى باب الفيلا فضغط على جرس الباب ، ووقف ينتظر .

كان المفتش قد وقف بسيارته على بعد كافٍ لكي لا يثير الشكوك ، ولكنه كان يستطيع أن يرى من مكانه كل ما يدور أمام الفيلا .

وعاد الشاب يضغط على الجرس في عصبية وإلحاح ، وهو يتبادل الكلمات مع الفتاة التي بقيت في السيارة. وفجأة فتح الباب الداخلي للفيلا ، وظهر منه رجل ضخم الجثة ما كاد يرى الشاب الواقف أمام باب الحديقة حتى هبط الدرجات القليلة وعبر الحديقة الضيقة إلى الباب ففتحه .

التفت الشاب إلى السيدة القابعة في السيارة وكأنه يدعوها ، فهبطت هذه من السيارة ، ودلف الجميع إلى داخل المنزل الفخم .

قال المفتش جميل :

- إنه صاحبنا يا ماهر . .

قال ماهر مستغرباً :

- ولكنه ليس ملتحياً . . أم تراه حلق لحيته ؟!

قال المفتش بهدوء :

- بل قل إنها كانت لحية مزيفة . .

قال هذا ثم ضغط على زر في لوحة قيادة السيارة ، ثم أمسك بمسرة هاتف كانت معلقة هناك فقال منادياً :

- آلو . . غرفة العمليات ؟ هنا المفتش جميل . . إنني في أثر أحد المجرمين في ضاحية الأندلس ، أمام الفيلا رقم ٨١٣ . أرسلوا لي ثمانية أفراد مسلحين من الشرطة السرية ، وأوصوهم بعدم إطلاق النفير في سياراتهم ، وليكونوا عندي في أسرع وقت ممكن .

وبعد أن قطع الاتصال ووضع المسرة في مكانها التفت إلى ماهر وأمره بشيء ما ، فهبط هذا من السيارة ومضى لانفاذ أمر رئيسه .

* * *

المجرم في المصيدة

ما كاد الثلاثة يصبحون داخل الفيلا حتى التفت الشاب وقال للرجل الضخم :

ـ ماذا أرسلت لي يا جاك ؟

أشار المسمى بجاك إلى زائريه بالجلوس وقال :

ـ لم أرسل لك شيئاً ، فقد اضطررت إلى ترك المنزل قبل أن تصل عصفورتك .

قال الشاب وقد ازداد غضباً وتوتر أعصاب :

ـ ما هذا الذي تقول . ؟ لقد عادت إليّ العصفورة ومعها الأنبوبة ، ولكنها مملوءة سكراً . . ها هي . .

ومد يده بالأنبوبة فأخذها جاك وهو مقطب الجبين ، وفتحها وأفرغ محتوياتها على راحته وهو مدهوش وقال :

ـ كيف حدث هذا ؟! أنا لم أرسل لك شيئاً . !

وتطاير الشرر من عيني الشاب وقال :

ـ ولماذا لم ترسل شيئاً ؟ ألم يصلك الثمن مع العصفورة ؟

هز جاك رأسه وقال :

ـ قلت لك إني غادرت المنزل قبل أن تصل عصفورتك . .

سألته السيدة :

ـ ما معنى ذلك إذن ؟!

أجابها جاك :

ـ معناه واضح . . لقد اكتشف بعضهم الأمر . ,

استبد الذعر بالسيدة وقالت :

ـ من تعني . ؟ الشرطة . ؟

نظر جاك إليها بعينيه الدمويتين وأجابها :

ـ ومن يهتم بهذا غيرهم . ؟ ولكن لماذا هذا الخوف الذي استبد بك ؟ الأمر أهون مما تظنين . . لقد عرفوا سر العصافير . . هذا جائز . . ولكن ماذا يستطيعون أن يفعلوا بعد ذلك ؟ أليست العصفورة عندك ؟

قال الشاب وهو يحاول التماسك :

ـ أتعني ألاّ خوف من انكشاف سر العصافير ؟

هز جاك كتفيه بغير مبالاة وقال منهمكاً :

ـ ولم الخوف ؟ هل أرسلوا العصفورة ثم طاروا خلفها ليعرفوا اين تذهب ؟

وسكت قليلاً ثم قال مغيراً مجرى الحديث :

ـ على كل حال سأحضر لك جرعة . . انتظر لحظة . .

وغاب في احدى الحجرات ، ثم عاد ومعه ورقة صغيرة مطوية دفع بها إلى الشاب وهو يقول :

- هاك هي . .

تناولها الشاب بلهفة ويد مرتعشة ، وفَضّها بسرعة ، وأخرج من جيبه أنبوبة دسّ أحد طرفيها في المسحوق ، وجعل الطرف الآخر في منخره ، ثم نشق الهواء بقوة ، فانقذف إلى أنفه جزء من المسحوق مع الهواء المستنشق .

تقبضت أسارير الشاب المدمن من أثر دخول المخدر إلى أنفه ، وسعل ، ثم هدأت أعصابه المتوترة ، وأشعل سيكارة وراح يدخنها بشراهة .

وفي أثناء ذلك كله كانت السيدة الشابة تنظر إليه في حزن وألم بينما كان جاك يرقبه باسماً ، ثم قال :

- أقترح عليك أن تأخذ كمية تكفيك عدة أيام حتى ينجلي الموقف ، وأعرف سر هذا السكر الذي في الأنبوبة . .

وافق الشاب على الاقتراح فوراً ، ومد يده إلى جيبه فأخرج حافظة نقوده ، وتناول منها عدداً من الأوراق المالية دفعها إلى جاك وهو يقول :

- إليك ثمن عشر وجبات . . إنها من أموال أختي هذه . .

تناول جاك الأوراق النقدية ، ومضى إلى الحجرة السابقة ، ثم عاد منها بعشر صرر ورقية كالصرة الأولى ، فدفعها إلى الشاب وهو يقول :

- احتفظ بالعصفور إلى أن أجد مكاناً جديداً أدربه عليه . .

غادر الشاب وشقيقته الفيلا إلى سيارتها . ولما صار الشاب خلف

عجلة القيادة مد يده إلى مفتاح التيار ، فأداره ، ولكن المحرك لم يدر . عاود الشاب الكرة ، ولكن دون جدوى . وعندئذ نزل من مكانه ومضى إلى مقدمة السيارة فرفع غطاء المحرك ليبحث عن الخلل الحادث في المحرك . ودهش حين رأى شموع الاحتراق منزوعة من أمكنتها .

قال الشاب يخاطب أخته :

- الأمر بسيط . . يظهر أن أحدهم يريد المداعبة . . إن الشموع منزوعة من أمكنتها . . سأعيدها فوراً . .

قال هذا وانحنى على المحرك يثبت الشموع في أمكنتها .

نظر المفتش من سيارته إلى الشاب وهو يصلح الخلل الذي أمر ماهراً بإحداثه لتعويق الشاب بعض الوقت ، فوجده يكاد ينتهي وينطلق بسيارته .

ولأول مرة في حياته أحس المفتش بالحيرة والتردد . . فماذا يفعل ؟ إن النجدة التي طلبها لم تصل حتى الآن . . فهل يترك المدمن يمضي بسلام لكي يقبض على التاجر فقط ؟ أم يترك التاجر المجرم ويمضي في أثر الشاب وأخته ؟

وبينما المفتش جميل في حيرته هذه لا يدري ماذا يفعل إذ لاحت في مرآة السيارة سيارتان مسرعتان تتقدمان نحوه . .

تهلل وجهه سروراً . . لقد وصلت النجدة . . ولكن فرحته لم تلهه عن وجوب سرعة التحرك قبل أن يفوت الأوان .

نزل من السيارة وهو يقول :

ـ ماهر . ! أسرع بالقبض على الشاب والفتاة التي معه ، وفتشهما .

ثم التفت الى رجال الشرطة الذين ترجلوا من السيارتين القادمتين وقال لهم :

ـ حاصروا المنزل من كل جانب . . كونوا حذرين فالرجل مسلح . .

وأخرج هو مسدسه ، وأخذ معه رجلَيْن وسار في اتجاه الباب ، بينما كان ماهر قد وضع الغل في يدي الشاب الذي لم يبد أية مقاومة .

ضغط المفتش على زر الجرس فظهر الرجل . فلما رأى المفتش والرجلين اللذين معه ، ورأى رجال الأمن الآخرين الذين أحاطوا بالدار ، أسرع بإغلاق الباب والاختفاء . تنحى المفتش جميل عن الباب قليلاً وقال للرجلين :

ـ اكسرا هذا الباب !

وقبل أن يفعلا سمعوا أصوات طلقات نارية تنبعث من الداخل ، مما يدل على أن معركة بالمسدسات كانت تجري بين جاك ورجال الأمن الذين تسسلوا الى الدار من الخلف .

ولم تمض إلا لحظات حتى فتح الباب مرة ثانية وظهر الرجل الضخم مكبل اليدين بالحديد ، وخلفه رجال الأمن يدفعونه إلى حيث كان المفتش ومساعداه أمام الباب الأمامي .

قال المفتش يخاطب أحد رجال الأمن القابضين على جاك :

ـ من الذي أطلق النار يا محمود ؟

أجاب الشرطي :

ـ هو الذي بادرنا بإطلاق النار حين رآنا نحاصره من الخلف . ولكن أحمد انقض عليه ونجح في نزع المسدس منه .

قال المفتش :

ـ عظيم . ! فلندخل أولاً لتفتيش الدار ، وبعد ذلك نحدد التهم التي سنوجهها إليه . . فهناك أولاً الشروع في قتل ابني ، ثم مقاومة الشرطة بإطلاق النار ، ثم الاتجار بالمخدرات . ومَنْ يدري ؟ فقد تضاف إليها تهمة أو تهم أخرى ؟؟

وبعد التفتيش عثر على كمية كبيرة من المخدرات محفوظة في لفافات ورقية ، فأخذها المفتش ، وترك أحد الرجال لحراسة المكان ، وصحب رجال الحملة والمتهمين ، ثم وزعهم على السيارات الأربع ، وانطلق الجميع إلى مبنى مديرية الأمن .

كان النقيب ماهر أشد الجميع سعادة بالنجاح الساحق الذي حققه رئيسه المفتش جميل بعد أن استغل الببغاء الذكية أحسن استغلال .

* * *

نهايـة الاجـرام

بدأ المفتش جميل تحقيقاته فور وصوله ، فارسل المخدرات المضبوطة إلى المعمل الجنائي للتحليل . وطلب موافاته بتقرير سريع كي يوجه الاتهام إلى جاك .

ولم يكد المفتش ينتهي من إصدار أوامره في هذا الشأن حتى دخل أحد ضباط الشرطة وفي يده تقرير مكتوب دفعه إلى المفتش الذي أسرع بفضه وقراءته .

كان نسخة من تقرير الطبيب الشرعي الذي يفيد أنه بعد تشريح جثة المدعو جورج نعّوم تبين أن طلقةً نارية اخترقت جمجمته وسببت الوفاة . .

رفع المفتش نظره عن التقرير بعد أن انتهى من قراءته ، وحدق في وجه جاك الجالس أمامه بأغلاله ، وقال له :

ـ هل تعرف شخصاً يدعى جورج نعوم ؟

أجاب جاك بهدوء غريب ، وكأنه كان يتوقع السؤ ال :

ـ لا . . لا أعرف أحداً بهذا الاسم . .

قال المفتش :

ـ إن الإنكار لا يفيدك . . سنعرف الحقيقة على كل حال . .

قال هذا ، ثم سحب أحد أدراج مكتبه فأخرج مسدساً ، ثم مد يده إلى جيبه فأخرج مسدساً آخر ، ودفع الاثنين الى ماهر الذي كان إلى جواره وقال له :

ـ إذهب بهذين المسدسين الى المعمل ، واطلب من الخبراء أن يقرروا إن كانت الرصاصة المستخرجة من جثة جورج نعوم قد اطلقت من أحد هذين المسدسين .

والتفت إلى جاك وقال له :

ـ لقد اطلقت الرصاص على ولدي وكلبه ، وهربت في السيارة المسروقة . وقد عرفك أحد الشهود الذي سيصل حالاً لمواجهتك . . وارسلت المسدسين اللذين ضبطا معك الى المعمل . .

ولم يكد المفتش ينهي كلامه حتى دخل الاستاذ صالح عمر المحامي ، وكان المفتش قد طلبه من قبل بالهاتف .

قال المحامي :

ـ صباح الخير يا سيدي المفتش .

أجاب المفتش مرحباً :

ـ صباح الخير والنور يا استاذ صالح . . أرجو أن تغفر لنا هذا الإزعاج الذي ليس لنا فيه حيلة . . وأرجو ألاّ نؤخرك كثيراً . . هل تعرف هذا الرجل . ؟

وأشار بيده إلى جاك . . فالتفت المحامي فنظر إليه فلم يعرفه ، وراح

يجيل فيه بصره في حيرة ظاهرة . وعرف المفتش سبب حيرته ، فدس يده في جيبه ، واخرج لحيته المستعارة ، وألصقها بذقنه . وعندئذ فقط صاح الاستاذ صالح :

ـ إنه هو . . هو بعينه . . راكب السيارة الذي اطلق الرصاص . .

وتوالت الكوارث على رأس جاك بعد ذلك ، فقد ثبت لخبراء المعمل الجنائي أن الرصاصة التي قتلت جورج نعوم قد أطلقت من أحد المسدسين ، ثم جاء تقرير بنتيجة المادة التي أحيلت للتحليل ، فإذا هي مخدرات .

قال المفتش جميل :

ـ أنصحك يا جاك أن تعترف ، إذ لا جدوى من الإنكار . .

وانهار جاك فجأة ، واعترف اعترافاً مفصلاً بكل الجرائم التي ارتكبها ، فأمر المفتش بوضعه في سجن المديرية في انتظار إحالته على قاضي التحقيق .

والتفت المفتش إلى الشاب المدمن وقال :

ـ أما أنت ، وبعد اعترافك بكل شيء ، فسوف أحاول أن أساعدك جهد طاقتي .

ولما سيق الجميع الى السجن ، ولم يبق في الغرفة سوى ماهر والمفتش ، التفت الأخير وقال :

ـ كم سيضحك قاضي التحقيق حين يعرف أن الذي قادنا إلى هذا المجرم الخطير لم يكن سوى ببغاء ذكية .



ضحك ماهر وقال :

ـ سيضحك أكثر يا سيدي عندما يسمع عن أول من أرشد الى مكانه .

سأل المفتش باسماً :

ـ لعلك تشير إلى « سرور » ؟ حقاً إنها المرة الأولى التي يكتشف القرد فيها أول خيوط القضية ، وتنهيها الببغاء بالمساعدة على ضبط المتهم .

رفع المفتش مسرة الهاتف إلى أذنه ، وطلب من العاملة ان توصله بالمنزل . ولما سمع صوت خالد من الطرف الآخر أنهى إليه آخر الأخبار ، وأثنى على كل من « فصيح » و « سرور » ، ووعد بأن يتحفهما بهدية طيبة .

وضع خالد مسرة الهاتف ، والتفت إلى أعضاء الفرقة الذين تحلقوا حوله في شوق ولهفة الى سماع ما لم يعرفوه من الاخبار ، فقال لهم :

ـ لقد قبضوا على المجرم ، واعترف بكل جرائمه . . وبابا في غاية السعادة للمساعدة القيّمة التي قدمها كل من « سرور » و « فصيح » .

صاح فصيح :

ـ « سرور » حبيبي . ! فصيح رائع . ! الرجل ثور . !

ضحك الجميع . وازداد ضحكهم عندما تقدم « سرور » منه ، ورفعه كما يفعل به خالد ، ووضعه على كتفه . . وكان فصيح سعيداً لا يكف عن الصخب والتهريج .

قالت ماما سعاد باسمة :

ـ ألم يكف أنكم مغامرون حتى جعلتم من هذين الحيوانَيْنْ مغامِرَيْن أيضاً ؟!

طبعَ في دار النفائس - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net